عولمة
الإعلام والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

عولمة
الإعلام والثقافة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

دار المكتبي

الطبعة الأولى

1423هـ - 2002 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

من وحي التنزيل

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله الذي امتنَّ على الناس برسالة إمام الدعاة إلى الله سيدنا محمد ﷺ ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فأدَّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وأقام الحجة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وبعد :

عاش المسلمون فترات الازدهار حتى سادوا أصقاع الدنيا ، فمدّنوا الناس وطوروا أساليب الحياة ، وقادوا الأمم إلى طرق النجاة .

ودار الزمن دورته ، وتخلّف المسلمون عن ركب الحضارة ، وفشت فيهم الأمية ، وانتشر فيهم التخلف والجمود ، حتى أصبحوا الشعب المستهلك لا المنتج ، والمتلقي لا المعطي ، وأصبحوا أرقاماً فقط ، وغثاءً كغثاء السيل .

ووصلنا إلى هذا القرن ، حيث تربعت الولايات المتحدة الأمريكية على عرش المعمورة ، وخاصةً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٥ ، وتوحيد الألمانيتين عام ١٩٨٩ ، وحرب الخليج الثانية والتي انتهت بتحالف دولي فريد و . . .

كل ذلك جعل الصيحات تتعالى ، والتي تدور حول ضرورة فتح الأسواق كلها ، وفتح الأمور الإعلامية ، فكان الإنترنيت ، وكانت الأمور التي لم تكن في السابق . . .

وكالعادة وقف المسلمون من صرعة العولمة موقفين متناقضين :

طائفة ركّزت على العودة إلى كهوف التاريخ ، رافضةً كل جديد ، مدَّعيةً بأن الأجداد لم يتركوا لنا ما نبحث فيه أو نفتش!

بينما خُدعت الطائفة الأخرى ببريق كل ما هو جديد ، وما أكثر الصرعات الجديدة في هذه الأيام ، مثل النظام الدولي الجديد ، والعولمة ، الخصخصة ، و. . . .

لكن كلا النظرتين فيهما إفراطٌ أو تفريط ، بينما المنهج الحق هو أن نعترف أن أمثال العولمة ليست إلا أمراً واقعاً ، فعلينا دراسته بتأنٍّ ودقة ، لا رفضها بتاتاً ، ولا الانصهار فيها .

أما دفن الرؤوس في التراب ، هروباً من الواقع ، فهذا يذكّرنا بحال النعامة التي تدفن رأسها في التراب ويظل جسدها مكشوفاً للصياد .

من هنا ، عمدناإلى دراسة هادئة لظاهرة عولمة الثقافة والإعلام . وكانت أهم محاور الكتاب :

ـ ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي : مفهومه ، ومشروعيته ، وبعض جوانب الإعلام في عهد الرعيل الأول. . .

ـ من قضايا الإعلام المعاصر : وسائله ، وتأثيره ، ودوره ، ومن ثم عمليات الاتصال بالجماهير ، و. . .

ـ حقائق عن عولمة الثقافة والإعلام. . وإلى أين ذلك كله ؟ وفيها : عولمة ثقافية أم اختراق ثقافي ؟ ولمحات عن الحديث عن عولمة الثقافة والإعلام ، و. . .

ـ واقع الإعلام الإسلامي المعاصر : هل العولمة قَدَرٌ حتمِيٌّ ؟ وماذا عن موقع الإعلام الإسلامي في العالم ؟!

وهي ليست إلا محاولات متواضعة ، فإن نالت القبول فذلك من توفيق الله وفضله ، وإلا فمن النفس الأمّارة بالسوء ، لكن شفيعنا في ذلك قوله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وصلوات الله على الحبيب المصطفى وآله والصحب الكرام ، ومن سار على الدرب إلى يوم الدين ، وآخر دعواهم أن الحمد للهِ رب العالمين .

* * *

الباب الأول

ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي

الفصل الأول : مفهوم الإعلام ، نظرياته ، خصائصه ، وظائفه .

الفصل الثاني : بعض الجوانب الإعلامية في عهد الرعيل الأول :

١ـ مشروعية الإعلام في الإسلام .

٢ـ نماذج من تحركات الرسول ﷺ الإعلامية .

الفصل الأول

مفهوم الإعلام ، نظرياته ، خصائصه ، وظائفه

مفهوم الإعلام :

تعود الكلمة إلى الفعل (أعلم) بمعنى أخبر وأنبأ ، أي أوصل أحد الأطراف علماً أو خبراً أو نبأً أو . . إلى طرفٍ آخر .

ويفرّق أهل العربية بين (أعلم) وبين (علم) فيقولون :

إن معنى (علم) أي أن طرفاً واحداً استطاع أن يتوصَّل بنفسه إلى خبرٍ أو أمرٍ ما .

وأما (أعلم) فتعني أن هناك طرفاً خارجياً ، بواسطته تم إيصال الخبر أو . . ، مثال ذلك : فأجهزة الأنباء والتعليم تعتبر الطرف الأول في ميدان الإعلام ، والمستمع أو المشاهد أو . . يعتبر الطرف الثاني ، والمادة التي ينقلها الطرف الأول تعتبر المادة الإعلامية . . أي (الإعلام) .

وقد عرَّف العلماء مسألة الإعلام تعريفاً دقيقاً ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

تعريف العالم الألماني (أوتوجروت) للإعلام :

هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت .

ويرى الدكتور عبد اللطيف حمزة أن الإعلام هو :

تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبِّر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتها في نفس الوقت .

لكن ما مدى العلاقة الحقيقية بين الجماهير ورجل الإعلام ؟

يجيب عن ذلك (جاك ألون) بالقول :

إن الإعلام بطبيعته أمين كل الأمانة واضح كل الوضوح مجرد من الزخرفة والتنميق ، وعلى هذا يكون الإعلام موضوعياً غايته صالح المجموع دون محاولة التأثير فيهم عن طريق الكذب أو المبالغة أو التهويل .

ولكن رغم ما يقال عن موضوعية الإعلام فهو يخضع على الأقل لذاتية رجل الإعلام ، ورغم أنه لا يهدف إلى غرض غير الإعلام ذاته إلا أن هذا لا يمنعه من تبيّن وجهة نظر معينة ، كما أن هذا لا يخرج به عن مفهومه الأساسي مادامت المادة الخام له هي الحقائق ، وما دامت وسائله تتبع أسلوباً مشروعاً في اتصالها بالجماهير .

وللأستاذ زين العابدين الركابي في مسألة مفهوم الإعلام وجهة نظر تفصيلية ، وملخصها :

الإعلام علم إنساني أولته المذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية اهتماماً عظيماً ، فما من مذهبٍ فكري أو اتجاه سياسي أو نظام اقتصادي أو سلعة تجارية أو برنامجٍ ثقافي يستطيع أن يتصل بالناس وأن يؤثر فيهم تنشيطاً أو تحويلاً إلا إذا اتخذ من أدوات الإعلام التلفزيون والصحيفة والمذياع والمسرح والكتاب والمعرض والمهرجان والخطبة والاتصال الشخصي. . . . وسائل تصله بالناس

وتمكنه من إقناعهم بما يريد ، أو تؤثر فيهم عن طريق الغريزة أو العاطفة أو نزعة الترفيه تأثيراً يحقق الهدف المادي أو المعنوي المنشود .

وبالتالي : فأنجح أنواع الإعلام هو الذي يربط القول بالحدث ، وفن الإعلام هو تقرير حقائق ، ومن السؤال أو الحدث يتخذ منه مدخلاً لتثبيت الحقائق وتقريرها .

وفي تعريفه لكلمة الإعلام يضيف الدكتور محمد سيد محمد إلى التعريف أهم أركان العملية الإعلامية فيقول :

الإعلام : هو العلم الذي يدرس اتصال الإنسان اتصالا واسعاً بأبناء جنسه اتصال وعي وإدراك ، وما يترتب على عملية الاتصال هذه من أثر وردٌ فعل ، وما يرتبط بهذا الاتصال من ظروف زمانية ومكانية وكمية ونوعية وما شابه ذلك .

فالعملية الإعلامية ظاهرة اجتماعية لها أركان ، أهمها :

١ـ المصدر Sourse .

٢ـ الرسالة Message .

٣ـ الوسيلة Media .

٤ـ المستقبل Releier .

٥ـ التأثير Effects .

٦ـ رد الفعل Feed Beck .

لكن نستطيع القول : إن حيادية الإعلام أصبحت أمراً نادراً ، فهناك إعلام رأسمالي يتبنى نشر الفكر الرأسمالي ، وهناك إعلام ماركسي يتبنى الفكر الشيوعي. . . وهناك إعلام إسلامي يتبنى الخط الإسلامي ويدافع عنه ، و. . هكذا .

فتطور الإعلام من مجرد نقل الأنباء والأخبار إلى مفهوم أعم وهو تبني قضية من القضايا ودعمها والدفاع عنها ، وذلك من خلال بعض القنوات الإعلامية لتصل إلى المشاهد أو القارىء أو المستمع ، وكل ذلك له فوائد جمَّة[1] .

خصائص الإعلام :

لكل نوع من أنواع الإعلام خصائص تختص به ، لكن ما يهمنا في هذه الدراسة خصائص الإعلام الإسلامي ، وأهمها : [2] :

١ـ **عقيدي مسلكي** : ونعني بهذا أنه قائم على العقيدة والإيمان ، مرتبط بأحكام الإسلام وتعاليمه ، وهديه وأخلاقه ، فإن أول ما نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ـ٥] .

والقراءة مفتاح التعلم ، وأول وسائل التبليغ والإعلام .

وقال تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] فالتبليغ ونشر الدعوة من أولى واجبات الرسول ﷺ ، وهو واجب على الأمة الإسلامية ، بقوله تعالى :

---

(١) للتوسع يراجع :

القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٢/ ١٥٠١ ، مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني : ٥٨٠ ، الإعلام والدعاية للدكتور عبد اللطيف حمزة : ٧٥ـ٧٧ ، المسؤولية الإعلامية للدكتور محمد سيد محمد : ٢٤ـ٢٧ .

(٢) للتوسع يراجع : أضواء على الإعلام في صدر الإسلام للدكتور محمد عجاج الخطيب : ٣١ـ١٦ .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وهو من خصائصها التي تميَّزت به عمن سبقها من الأمم ، مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

٢ـ واجب على كل مسلم بقدر طاقته : قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .

فبين الرسول ﷺ في جملة ما فصَّله وبيَّنه من الأحكام وجوب إعلانها والإعلام بها وتبليغها ، في قوله : « بلِّغوا عني ولو آية » وقوله : « نضَّر اللهُ عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلَّغها عني ، فربَّ حامل فقهٍ غير فقيه ، وربَّ حامل فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه »(١) .

وكان يقول ﷺ : « ليبلغ الشاهدُ الغائب ، ربَّ مبلغٍ أوعى من سامعٍ »(٢) .

ولهذا القول أثره العظيم في نمو الاتصال الشخصي وشحذ الهمم للتبليغ ، كما له الأثر الكبير في الاتصال الجمعي أو الجماهيري ، هذا النوعان اللذان يعدان ركني علم الاتصال وهو علوم الإعلام المهمة في العصر الحديث .

ومما يؤكد وجوب الإعلام والتبليغ قوله ﷺ : « من سُئل عن علمٍ فكتمه أُلجم بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة »(٣) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله : ١/ ٣٩ .
(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي : ١/ ٢٣ .
(٣) مسند الإمام أحمد : ٥/ ١٤ .

وكان رسول الله ﷺ يأمر الوفود التي تفد إليه بأن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم ويعلموهم كما تعلموا منه[1] .

وقد حذّر الرسول ﷺ أهل العلم من عدم نشر علمهم وتبليغه ، وحذر الجهال من البقاء على جهلهم في قوله : « ما بالُ أقوامٍ لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بالُ أقوامٍ لا يتعلمون من جيرانهم... فقالوا : أمهلنا سنة ليفقوهم ويعلموهم ويعظوهم ، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾[2] كل هذا له شأنه في النشاط الإعلامي ووسائله .

٣ـ إنه حسبةٌ لله عز وجل : أي يقوم به العبدُ تقرُّباً إلى الله ، محتسباً أجره عنده ، لا يبتغي غير وجه الله ، في ذلك ، لا يريد من الخلق جزاءاً ولا شكوراً ، قال الرسول ﷺ : « إن اللهَ لا يقبل من العمل إلا ما كانَ خالصاً له »[3] .

وقال ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه : فواللهِ لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من حُمُرِ النَّعَمِ »[4] .

٤ـ من أبرز خصائص الإعلام الإسلامي أنه موضوعي ، لا يتأثر بميل

---

(١) فتح الباري : ١/ ١٩٤ .

(٢) وتمام الآية : ﴿على لسانِ داودَ وعيسى بن مريم ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهَوْنَ عن منكرٍ فعلوه لبئسَ ما كانوا يفعلون﴾ سورة المائدة : /٧٨ـ٧٩/ والتناهي يشمل الإعلام وأحكام الله عز وجل .

والحديث في مجمع الزوائد : ١/ ٦١٤ ، وفي الترغيب والترهيب : ١/ ٨٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤/ ١٢٦ .

(٤) صحيح البخاري ومسلم .

أو هوى ، وهذا مبني على ثلاث ركائز ، وبعبارة أخرى إن مردَّ هذه الموضوعية يعود إلى ثلاثة أسباب :

السبب الأول : الإيمان ، فالمؤمن يلتزم بالحق فلا يزيد عليه ولا ينقص منه ، ولا يغير فيه .

السبب الثاني : أن المُعْلَم به من عند الله عز وجل وعلى لسان رسولِ اللهِ ﷺ فهو عقيدة أو تشريع أو آداب ، إنه دين ليس لأحد أن يطاله من قريبٍ أو من بعيد إلا بما شرع الله من البيان ، وقد قال ﷺ : « مَنْ أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » .

والسبب الثالث : مبنيٌّ على الخاصة السابقة ، وهي كون الإعلام حسبة لله عز وجل لا مدخل فيه لميل أو هوى ، وبهذا سدَّ باب التحريف والتزييف أو التهويل ، أو التعمية ، مما ابتلي به إعلام هذا العصر في كثيرٍ من الأحيان .

فالإعلام الإسلامي موضوعي فيما يبلغ ، وبعبارة أخرى موضوعي في رسالته والمرسل والمرسل إليه بعيدان عن الدعاية كل البعد ، ومعلوم أن الدعاية (علم صنع التأثير في الآخرين) بغض الطرف عن حقيقة الظروف مكانية أو زمانية ، أو تهويلها ، أو تشويهها من أجل الوصول إلى الهدف الدعائي المطلوب ولن تجد شيئاً من هذا في الإعلام الإسلامي ولو تناول المعلم به خصوصيات المعلم المبلغ ، ولا أدل على هذا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله! ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة » .

وفي رواية : « يا أباذر إني أراك ضعيفاً ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تأمرن على اثنين ولا تلين مالَ يتيم » .

٥ـ **إنه إعلام مُوثّق** ، لأنه مبني على قواعد التثبت والاستيثاق التي

أمر الله تعالى بها ، كما في قوله عز وجل :

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] .

وقال ﷺ : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] وقال : « من حدَّث عني بحديثٍ يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين »[2] .

٦ـ **إعلام منهجي هادف** : إنه يقوم على منهج الإسلام وبيانه من خلال مصدريه الأصليين ، الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة ، ويهدف إلى إقامة شرع الله عز وجل وآدابه ، بين عباد الله سبحانه وتعالى على أرض الله ، تحقيقاً لاستخلاف الله تعالى عباده كما في قوله : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

كقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

٧ـ **عام شامل** : عموم الإسلام وشموله ، فهو صوته ولسانه ، وقلمه وبيانه المعبر عن عقيدته وأحكامه وشرائعه ، المبين لآدابه وأخلاقه ، يتناول الدنيا والدين ، ولحياة الآخرة ، وكل ما يتعلق بالفرد والجماعة ، في السِّلم والحرب ، والمنشط والمكره ، جليله وصغيره ، عامه وخاصه ، مادام له صلة بالإسلام والمسلمين من قريب أو بعيد ، من عدو أو صديق .

---

(١) حديث متواتر أخرجه أصحاب الكتب الستة ، والإمام مالك وأحمد ، وغيرهم .

(٢) صحيح مسلم : ١/٩ .

٨ـ **بابه مفتوح لجميع المسلمين** ، لا يختص بفئة معينة ، أو بجماعة دون أخرى ، ولا يدخل في تقديره أي اعتبار أو ناظم سوى الاختصاص والتقوى ، وفي مقدمة هؤلاء العلماءُ العاملون ، فهم ورثة الأنبياء ، وقد تصدَّر الرسول ﷺ للدعوة والتبليغ ، وكلّف من أصحابه من رأى فيهم القدرة على ذلك كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ويقوم المسلم بدوره الإعلامي بدافع ذاتي ، وطواعية نفسية ، امتثالاً لأمر الله عز وجل وتقرُّباً إليه ـ سواء أكلفه المسؤولون أم لم يكلفوه ـ مادام يعرف حكم الله ، وأصول ما يدعو إليه وفروعه ، مما فصلنا القول فيه في الخاصتين الأولى والثانية ، وإذا أُنيطت به مسؤولية الإعلام بتكليف أولي الأمر تضاعفت مسؤوليته ، التي شملت واجب الإعلام والتبليغ وواجب أداء ما أنيط به ـ أي وظيفته ـ .

٩ـ **إعلام منظم مسؤول** : تشرف عليه الدولة بما يحقق إقامة شؤون الأمة ، وإنارة سبلها ، وتيسير أمورها ، ورعاية مصالحها ، وبيان حقوقها وواجباتها ، والمحافظة على كيانها ، بصيانة عقيدتها ودينها وآدابها وأخلاقها ، وحسن رعاية ناشئتها من جميع النواحي التربوية ، الفكرية والدينية والصحية والاجتماعية واللغوية . . . ودفع كيد أعدائها ، ونقض مكرهم وتدبيرهم ، بما يراه المسؤولون مناسباً في كل عصر ومصر ، مما تقتضيه السياسة الشرعية في المحافظة على مقاصد الشريعة ، ومايلحق بها ، ومعروف من القاعدة الشرعية (ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب) وإن تنظيم الإعلام في أيامنا هذه ، وحسن الإشراف عليه من أهم الضروريات التي يقتضيها هذا العصر ، لآثاره الخطيرة الجليلة ، القريبة والبعيدة .

١٠ـ يقوم الإعلام الإسلامي على جميع الوسائل المشروعة ، ويفيد من كل ما يسهم في تبليغ الدعوة ، ونشر الإسلام وبيانه ، وتوسيع آفاق المسلمين وتثقيفهم ، ويستعمل جميع الأساليب التي تحقق ذلك ، فلم يدع الرسول ﷺ أية وسيلة ممكنة في عصره من غير أن يفيد منها ، إفادة حكيمة تامة ، ويسخرها في تبليغ الدعوة بما يناسب الزمان والمكان وأهلهما ، مراعياً جميع الظروف المتعلقة بهم فكرياً واجتماعياً وغير ذلك بما يكفل بلوغ الذروة في العمل ، والتدرج في معارج الكمال ، حتى تم له ما يريد وتحقق قول الله عز وجل :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ١ـ٣] .

١١ـ تنوع أساليبه على مختلف وسائله : إن الدارس لمنهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله عز وجل[١] ، المتتبع لدقائق أموره وأخباره ، يقف على أصول إعلامية وتربوية بالغة الأثر ، تؤكد عظمة الدعوة والداعية ، وتبين آثارها الإيجابية في المدعوين ، من الناحية الوجدانية والفكرية والسلوكية ، على جميع المستويات واختلاف الظروف والبيئات[٢] .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : عالمية الدعوة إلى الله تعالى ، للمؤلف : ٦٧ـ٧٤ .

(٢) والأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى ، منها :

(أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم وزجروه ، فقالوا : مه مه ، فقال : « ادنه مني » فدنا منه قريباً ، فقال : « أتحبه لأمك ؟ » قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » ، قال : « أفتحبّه لابنتك ؟ » قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » ثم ذكر الرسول ﷺ أخته وعمته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته : لا والله يارسول الله جعلني الله فداك ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصّن فرجه » قال رواي الخبر : فلم يكن=

فلم يدع أسلوباً من أساليب البيان إلاسلكه ، في أحاديثه ومكاتباته ، وتعليمه وعظاته ، وخطبه وتوجيهاته ، في دروسه ومعسكراته ، بين ترغيب وترهيب ، سمته اليسر لا يشوبه تعسير ، والتبشير لا يعكر صفوه تنفير ، والرفق لا يشينه عنف .

يمتطي في تعليمه وإعلامه صهوة (الإخبار) القصص أسلوباً ، فيشد الأسماع إليه ، وينتقل إلى الاستفهام فتجتمع القلوب عليه ، ويسلك الحوار سبيلاً فيحفز الهمم بين يديه ، ويُعرِّج على الحِكَمِ والأحكام والأمثال فتشرئبُّ الأعناق إليه ، ويرسم حيناً ويشبِّهُ أحياناً ، فيقرب البعيد ، وينقض العنيد ، ويشحِّذُ العتيد[1] ، ويدعو داعي الجهاد فيقف بين أصحابه خطيباً ، ويتقدمهم قائداً ، فيحفُّ به الأبطال ، ويتسابق إليه

= بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيءٍ : [مجمع الزوائد للهيثمي : ١/ ١٢٩ـ١٣٠] .

ومنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال :

جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، وإني أنكرته ، فقال له ﷺ : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم ، قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر ، قال : « هل لك فيها من أورق ؟ » قال : إن فيها لورقا ، قال : « فأنى أتاها ذلك ؟ » .

قال : عسى أن يكون نَزَعَهُ عِرْقٌ ، قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » فخرج من عند رسول اللهِ ﷺ طيب القلب ، صافي النفس . [صحيح مسلم : ٢/ ١١٣٧] .

ومنها : أن أعرابياً دخل المسجد ، ولم يلبث أن بال فيه ، فأسرع الناس إليه ، فقال لهم الرسول ﷺ : « إنما بُعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين ، أهريقوا عليه دلواً من ماء ، أو سجلاً من ماء » .

وقال للأعرابي . . ـ وهو حديث عهدٍ بالإسلام ـ : « إن مثل هذا لا يصلح في هذا » . [فتح الباري : ١/ ٣٣٦] .) .

(١) أي : المعدُّ المهيَّأ المستعد .

الفرسان ، وتحلو الشهادة في ميادينه . . ، وإذا ما عاد إلى مسجده بين إخوانه وأحبته ، ووقف بين يدي الرحمن في خشوع ، اصطفَّتْ وراءه الجموع ، ووجلت القلوب وذُرِّفت الدموع .

ما أعظم أسلوبه ، وما أروع بيانه ، وما أبلغ تأثيره ، الذي انتهى بمئات الألوف تردد معه يوم الحج الأكبر : (لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ ، صدق وعدهُ ، ونصرَ عبدَهُ ، وأعزَّ جندَهُ ، وهزمَ الأحزابَ وحده . .) . تشق من القلوب عنان السماء ، فلا تسمع في جزيرة العرب وما حولها إلا صداه ﷺ .

وظائف الإعلام :

بعد أن تطورت وسائل الإعلام تطوراً كبيراً ، وازداد عددها ازدياداً نوعياً ، كان لابدَّ من النظر في وظائف الإعلام .

ففي الماضي كان التركيز على فكرة أن وسائل الإعلام لا تتعدى في وظائفها مسألة نشر الأخبار ـ أي إبلاغها ـ وبالتالي شرحها وتفسيرها والتعليق عليها ، إضافة إلى التسلية والامتاع مع قليلٍ من الإعلانات ونحو ذلك .

إذن : يمكن حصر أهم وظائف الإعلام المعاصر بما يلي :

آ ـ وظيفة الإبلاغ والإخبار : وهذه الوظيفة الإعلامية هي جوهر قضية الإعلام المعاصر ، فالخبر ـ مهما كان نوعه ـ هو العمود الفقري في الخدمة الإعلامية .

لذلك نرى في الواقع المعاش التسابق إلى التقاط الأخبار والبحث عنها ومن ثم نشرها وتحليلها و . . . ، وإلا ما فائدة الإعلام إن لم يقم بهذه المهمة ؟ .

ب ـ **وظيفة التثقيف والتوعية** : وذلك من خلال البرامج المدروسة المخطط لها ، والتي تهدف إلى تزويد المشاهد أو القارىء أو المستمع بكمية من الأخبار العلمية أو المعرفية أو . . أو كل ما له علاقة بالتوعية والثقافة . . ، وما أكثر ذلك في هذه الأيام ، فإذا شاهد المشاهد برنامجاً تلفزيونياً يتحدث ـ مثلاً ـ عن قضايا البيئة ، فإن ثقافته في هذا المجال تزداد وبالتالي يصبح أكثر وعياً وإدراكاً . . .

ج ـ **وظيفة التربية** : فمثلاً في مجال محو الأمية ، تستطيع وسائل الإعلام كافةً ، ـ خاصةً الراديو والتلفزيون ـ أن تحمل هذا الدور وتنميه وتساعد على اتجاهه ، وذلك لأنها تقوم بدور تعليمي مباشر .

والأمر نفسه بالنسبة للذين تركوا متابعة الدراسة ، فهؤلاء يعتبرون تلامذة عند وسائل الإعلام ، فهم يتلقون من وسائل الإعلام كل ما له علاقةٌ بأمور التربية والتعليم ، وبالتالي يتأثرون بذلك كثيراً .

وقد تبين لدى عدة دراسات أُجريت على بعض العاملين أو الغير متفرغين للدراسة ، أن سلوكهم تهذَّب لدى متابعة بعض البرامج الناجحة التي تبنُّها بعض وسائل الإعلام .

ومن الأمور المشاهدة عياناً أن التلفزيون عندما يكثر من استنكار أمرٍ ما ، أو يسخر من أمرٍ ما ، يصبح ذلك الأمر في المجتمع غير مستحبّ . . .

والعكس صحيح أيضاً ، ولذلك نفهم الدور الكبير لوسائل الإعلام في تعليم وتهذيب وحماية التراث والسلوك والأخلاق ، أو في تخريب ذلك كله وتحطيمه ! !

د ـ **وظيفة الخدمات** : عادة ما تقدّم وسائل الإعلام عدداً كبيراً من الخدمات العامة ، كالنشرات الجوية التي ترصد أحوال الطقس ، وبعض

الاستشارات الطبية من خلال استضافة طبيب في مجال اختصاصٍ ما ، أو الاستشارات القانونية ، أو النشرات التي تبين حركة المطارات ، أو حركة المرور وما إلى هنالك .

وهذه الوظيفة الإعلامية تؤدي إلى كمية كبيرة من المنافع والتي يستفيد منها عددٍ كبير من الأفراد والهيئات .

هـ ـ **وظيفة التنمية** : وهنا لا تكون مهمة وسائل الإعلام مجرد نقل خبر أو رصده ، إنما تكون عن طريق شرح وتحليل وتبيان كل المدلولات والمعاني ، ليصل القارىء أو المشاهد أو المستمع إلى قناعات معينة ، وبالتالي ليتكون لدى الجمهور ما يُطلق عليه الرأي العام .

فإذا كانت وسائل الإعلام موجهة نحو التقدم والنفع والخير للجميع ، قامت هذه الوسائل بكل ما يؤدي إلى التنمية والازدهار ، لتكون النتيجة زيادة الإنتاج والخدمات وما إلى هنالك .

و ـ **وظيفة الترفيه** : مع تطور الزمن ، حلَّت وسائل الإعلام الالكترونية الحديثة محل (صندوق الدنيا) وما إلى هنالك من الوسائل التقليدية والبسيطة ، وتنوعت اليوم هذه الوسائل الحديثة ، بحيث غدت تختلف من مجتمعٍ لآخر ، فلكل طريقته في التسلية والترفيه : فهناك مسلسلات تلفزيونية فكاهية وهناك حفلات رياضية ، وهناك عروض سيرك أو رقصات شعبية وهكذا . .

فأصبح لوسائل الإعلام إضافة إلى دور التسلية والامتاع ، أصبح لها دور الإعلانات والترفيه ، لكن يبدو أنه الترفيه المبرمج ، وذلك في ظل حركة توجيه كل شيء من أجل هدف معين ! !

ز ـ **وظيفة الإعلانات** : حيث غدت في هذه الأيام من أهم الوظائف الإعلامية فهي من ناحية أولى تؤدي إلى مزيدٍ من المواصلة بين البائع

والمستهلك والمنتج ، ومن ناحيةٍ ثانية تدر أرباحاً طائلة على وسائل الإعلام .

وما أكثر الإعلانات في هذه الأيام ، حتى أنك لا تشتري صحيفة أو مجلة إلا وترى فيها صفحات خاصة بالإعلانات!

ولا تتابع برنامجاً تلفزيونياً ـ وخاصةً المسلسلات ـ إلا وترى ضمنها إعلانات ، وهكذا. .

وهذا أمرٌ في غاية الخطورة ، فإذا لم تكن الإعلانات مضبوطة وخاضعة للرقابة الصارمة ، فإنها في كثيرٍ من الأحيان تستخدم أي شيء لتمرير دعاية ما ، حتى لو كان ذلك على حساب الأخلاقيات والقيم والأعراف!!

وللأسف الشديد قد تشاهد إعلاناً يهدف إلى ترويج نوعٍ من أنواع البسكويت أو العلكة أو الشوكولا ، ويكون ذلك عن طريق قطع شجرة ونحو ذلك! فهل هذا إعلان منضبط ومراقب ؟!

لذلك يجب الانتباه إلى جميع الإعلانات ، والتعامل معها بكل حذر ودقة ، وإلا آل الأمر إلى ما هبَّ ودبَّ!!

نظريات الإعلام :

عرف العالم فيما مضى نظريتين بارزتين من نظريات وسائل الإعلام هما : نظرية السلطة ، ونظرية الحرية .

لكن وفي العصر الحديث أصبحت هناك نظريات أربعة هي : نظرية السلطة ، ونظرية الحرية ، والنظرية السوفييتية ، ونظرية المسؤولية الاجتماعية .

لكن لدى المتابعة يتبين للباحث أن النظريات الأربعة تلتقي حول

النظريتين القديمتين ، فالسوفييتية تولدت من نظرية السلطة ، ونظرية المسؤولية الاجتماعية تولدت من نظرية الحرية .

لذلك لابد من وقفة قصيرة عند كل واحدة من هذه النظريات الحديثة :

آـ نظرية السلطة : قامت هذه النظرية على تسلّط الحاكم على المحكومين ، فهو الذي يملك السلطة المطلقة على كل شيء ومنها والإعلام ، وبالتالي فعلى جميع وسائل الإعلام أن تهلّل وتطبّل وتزمّر بحياته ومنجزاته ونحو ذلك!

فالحاكم يستمد قوته من أن الدم الإلٰهي يجري في عروقه ـ مذهب الحق الإلهي ـ . . . ثم جاءت الكنيسة الرومانية فتبنّت هذه الفكرة ، حتى أنها استطاعت محاكمة العلماء والمفكرين كإحراق (غاليلو) .

وبالتالي استطاعت هذه النظرية أن تفرض نفسها على كل وسائل الإعلام وذلك في عددٍ من القضايا :

فعن طريق التراخيص يستطيع الحاكم بأمره أن يلغي رخصة كل من لا يوالي خطّه بشكل دقيق ، كما ويستطيع أن لا يعطي رخصة ما لمن يرى أنه عدو مصالحه . . . ثم عن طريق الرقابة يفرض الحاكم ما يريد وينهى عما يريد ، وذلك لأن الصحف والمجلات لابد أن تضخع للرقيب ، فيحذف كل ما يراه مخالفاً له ، كالأحزاب السياسية وإعلاناتها وبرامجها الانتخابية ونشاطاتها الدينية ونحو ذلك .

وهكذا تتخذ السلطة كل الوسائل التي تؤدي إلى إخضاع كل وسائل الإعلام إلى ما يريده الحاكم بأمره ، حتى لو كان ذلك عن طريق المحاكمات الصورية مع الاتهامات الخطرة كالخيانة العظمى ونحوه ، أو عن طريق شراء ذمم أصحاب الأقلام المشهورة وضمائرهم ، أو عن طريق

فرض ضرائب باهظة من أجل إرهاق الصحف مالياً و . . . !!

ب ـ **نظرية الحرية** : بعد إعلان الثورة الفرنسية مبادىء حقوق الإنسان وحرية الفرد في الأمور الفكرية والاقتصادية و . . . .

بعد ذلك طُرحت نظرية الحرية ، وكان ذلك ضمن نشوء الاقتصاد الحر المنبثق عن الرأسمالية الليبرالية .

لذلك طُرحت آراء تنادي بحرية الصحافة وحرية التعبير وحرية العبادة وحرية الإعلام ونحو ذلك . . .

لكن الحقيقة تؤكد أن هذا ليس إلا كلاماً استهلاكياً نظرياً ، والوقائعُ تؤكد على تسلط الاحتكارات العالمية وتسييس الاقتصاد وتجنيد كل شيء لصالح الأرباح والأطماع والجشع !!

وإلا أين الحريات في الدول التي تتبع النظام الرأسمالي ؟ وهل الإنسان إلا آلة صامتة لا تستطيع التحرك إلا وفق ما يريده النظام أو الشركات المتعددة الجنسيات أو . . أو . . ! ؟

ومن الذي يملك رؤوس الأموال ؟ ومن الذي يتحكم بالإعلام ؟ ومن وراء الفساد الأخلاقي و . . . ؟ ومن وراء بيوتات الأزياء العالمية ؟ ومن وراء الصرعات التي تطلقها (هوليود) و . . . ؟ !

ج ـ **نظرية المسؤولية الاجتماعية** : ما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حتى دعا المفكرون والقادة إلى الرد على حرية وسائل الإعلام ، وبرروا ذلك ، بأن الكثيرين استغلوا غطاء حرية الرأي والتعبير لصالح الإثارة والجنس ونحو ذلك ، مما أدى إلى المردود العكسي لتلك الحرية .

من هنا جاءت النداءات تركز على تقييد الحريات في ظل تلك الأنظمة الحرة على أساس تحمل المسؤولية ، وكل من موقعه .

من هنا جاءت فكرة نظرية المسؤولية الاجتماعية .

وبالفعل لاقت هذه الطروحات آذاناً صاغيةً ، مما جعل الرأي العام يفرض نفسه على السلوك والمهن ، وتوصل الناس إلى قضية رائعة وهي : أن الحرية حق ووجب ومسؤولية في نفس الوقت .

وما على وسائل الإعلام إلا تحمّل مسؤولية تنوير الناس بالأرقام والإحصائيات والحقائق حتى يتكون لديهم فكرة الميزان الحق ، والذي يزينون به كل أمر صحيح ليميزوه عن كل ما هو خبيث .

وبالتالي تصبح وظائف الإعلام إضافة إلى الإعلان والترفيه ، بث روح المسؤوليات وعلى جميع الأصعدة . . .

د ـ **النظرية الاشتراكية ـ السوفياتية ـ** : يرى أصحاب هذه النظرية أن الإعلام يجب أن يكون حكراً في يد السلطة والدولة .

وهو في واقع الحال ليست إلا أداة لتسلّط الدولة ، فحتى الخبر ، بل وحتى الصورة ليست إلا أداة من أدوات التحوّل الاشتراكي ، أو الرقابة الاشتراكية .

بل حتى النقد ليس إلا حلقةً من حلقات الإيديولوجيات الفكرية الاشتراكية ، وما حدث في الاتحاد السوفياتي هو خير دليل على فشل أمثال هذه النظريات . . . ! !

والحل يكمن في قول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

[المائدة : ٦٥ـ٦٦] .

* * *

الفصل الثاني

بعض الجوانب الإعلامية في عهد الرعيل الأول

المبحث الأول

مشروعية الإعلام في الإسلام

عندما شاء اللهُ سبحانه وتعالى للناس الهداية ، أرسل إليهم الرسالة الخاتمة والتي حملها بأمان هو خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، و. . . كانت أبرز سمات المجتمع الجاهلي حينها قرظ الشعر ، ولذلك قيل : الشعر ديوان العرب .

ولو تصفحنا الكتب ـ بعضها ـ التي تحدثت عن العهد الجاهلي وما يتعلق بالحركة الثقافية لوجدنا أن القول المشهور : العرب أمة شاعرة ، قول صدق وحق ، وبالتالي من لم يكن من العرب شاعراً كان سمّاعاً للشعر وذواقاً له .

من هنا أقام العرب الأسواق لاستماع الشعر : كسوق عكاظ ونحوه ، وبالفعل أُقيمت المبارزات في ذلك ، وكُلفت لجان تحكيم ، وأصبح الشاعر كالصحفي يجلس مع الأمراء والملوك ، فيتشفّع فيشفع ، وأصبح كمحطة الإذاعة والدار الصحفية وهو يهجو الأعداء فيفضحهم ، ويمدح الأصدقاء فيرفعهم . . ، ويصوّر حادثة ما فتذهب قصةً في التاريخ[1] .

---

(١) للتوسع يراجع : الشعر والشعراء في ميزان الشريعة الإسلامية ، للمؤلف : ١٥٤ـ١٧٣ .

حقاً إن الشعر ديوان العرب ، وما أكثر الأمثلة من المجتمع الجاهلي . . .

ودار الزمن دورته وكان الدين الحنيف الخاتم ، فماذا حدث ؟

جاء الله بالقرآن متحدياً فصحاء وبلغاء العرب ، وذلك بأن يأتوا بآية من مثله ، لكن أنَّىٰ لهم ذلك والقرآن هو المعجزة الخالدة التي لا يأتيها الباطل أبداً .

وحاول بعضهم تقليد الأسلوب القرآني ، لكنهم عجزوا ، ثم حاولوا مرة تلو مرة ، ثم ابتدعوا مسألة أن القرآن ليس إلا شعراً أو سحراً أو . . . !!

ووصفوا الرسول ﷺ بأمثال ذلك : فهو شاعر ، وهو ساحر ، وهو ينقل أساطير الأولين ، و . . . !![1] .

وكانت نظرة الإسلام نظرة معتدلة ، فلا هو ألغى الشعر وذمَّ الشعراء ، ولا هو ترك لأخيلة الشعراء أن تغرف بما لا تعرف ، إنما ضبط المسألة تماماً ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ـ٢٢٧] .

ومن خلال هذه النظرة المعتدلة برز شعراء عمالقة في العهد النبوي ، وكان لهم دورٌ كبير ومقام عالٍ في قضايا الدعوة إلى الله تعالى ونشر الدين

---

(١) للتوسع يراجع : منهج القرآن الكريم في دحض افتراءات المشركين ، للمؤلف : ١٧٥ـ١٨٩ .

الحنيف ، والمنافحة عن الرسول الأعظم ﷺ ، والهجاء والرد على من يهجو الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم جميعاً .

ومن أبرز الشعراء الإسلاميين في العهد الأول : حسان بن ثابت رضي الله عنه .

وتمحور شعره حول بعض النقاط أهمها :

هجاء من يسبّون النبي ﷺ ، مثال ذلك ردُّه على هجاء أبي سفيان ـ عندما كان مشركاً ـ للرسول صلوات الله عليه :

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنتَ مُجَوَّفٌ نخبٌ هواءُ
بأن سيوفنا تركَتْكَ عبداً ... وعبد الدارِ سادتُها الإماءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أتهجوه ولستَ لهُ بكفءٍ ... فشَرُّكُما لخيركُما الفداءُ
هجوتَ مباركاً بَرَّاً حنيفاً ... أمينَ اللهِ شيمتُهُ الوفاءُ

* * *

والمحور الثاني : التغني بانتصارات الرسول ﷺ ومآثر المسلمين ، من ذلك قوله مادحاً النبيَّ ﷺ :

نبيٌّ أتانا بعدَ يأسٍ وفترةٍ ... من الرُّسْلِ، والأوثانُ في الأرضِ تُعبَدُ
فأمسىٰ سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيلُ المهنَّدُ
وأنذرنا ناراً وبشَّر جنَّةً ... وعلَّمنا الإسلامَ فاللهَ نحمدُ
وأنتَ إلٰه الحقِّ ربي وخالقي ... بذلك ما عَمَرْتُ في الناسِ أشهدُ

* * *

ومن ذلك قوله في قتلى المشركين في غزوة (بدرٍ الكبرى) :

فغادرْنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعتبةَ قد تركنا بالجيوبِ
وشيبةَ قد تركْنا في رجالٍ ... ذوي حسبٍ إذا نسبوا حسيبِ
يناديهم رسولُ اللهِ لما ... قذفناهم كباكبَ في القليبِ
ألم تجدوا كلامي كان حقاً ... وأمرُ اللهِ يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا ... صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مصيبِ

* * *

والمحور الثالث : المناظرة .

مثال ذلك : عندما قام الزبرقان بن بدر ـ وهو شاعر بني تميم ـ وأنشد :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يعادلُنا ... منا الملوكُ وفينا يقسم الربعُ
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهابِ وفضلُ العزِّ يُتبعُ

فطلب الرسولُ ﷺ من حسان أن يناظره ويردَّ عليه ، فقال :

إن الذوائبَ من فهرٍ وإخوتهم ... قد بيَّنوا سنةً للهِ تتبعُ
يرضى بها كُلُّ مَنْ كانتْ سريرتُهُ ... تقوى الإلهِ وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوَّهُمُ ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهمْ نفعوا

* * *

وهكذا ظهر عمالقة من الشعراء الإسلاميين ، أمثال : عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن الزبعري ، وغيرهم . . .

وهكذا نستطيع القولَ بأن دور الشاعر في عصر النبوة كان امتداداً

لدوره في العهد الجاهلي ، وخاصةً فيما يتعلق بالوظيفة الإعلامية في مجتمعه ، أو من خلال تسجيل وقائع الحياة كالمؤرخ والصحفي .

لذلك إذا تتبعنا الشعر الإسلامي نراه يسجل أحداث السيرة تماماً ، ومن الأمثلة على ذلك :

في الطريق إلى حصن خيبر ، طلب رسول اللهِ ﷺ من الشاعر عامر بن الأكوع أن يسمعهم شيئاً ، فراح عامر يرتجز ويقول :

واللهِ لـولا أنـتَ مـا اهتـدينـا ولا تصـدَّقْنـا ولا صلَّينـا
إنَّـا إذا قـومٌ بغـوا علينـا وإنْ أرادوا فتنـةً أبينـا
فـأنـزِلَـنْ سكينـةً علينـا وثبِّـتِ الأقـدامَ إنْ لاقَيْنـا

* * *

أجل!

لقد حمل شعراء الدعوة في العهد الأول مسئولياتهم على أحسن وجه ، فكانوا بحقٍّ حملة ألوية الإعلام في ذلكم العهد المجيد .

* * *

فهل أعطى الإسلام للإعلام أهمية كبيرة ؟ وهل اعتبره عملاً مشروعاً ؟ وما هي الأدلة على ذلك ؟!

ـ كما هو معلوم ـ فالدين الحنيف لا يختص بفئة معينة ولا بعمر محدد ، ولا بزمان ولا بمكان ، إنما هو كما قال الله تعالى على لسان نبيه المصطفى ﷺ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وهذه العالمية لابدَّ لها من مبلِّغين ـ أي لابدَّ لها من أناسٍ يحملون

الدعوة إلى كل العالمين[1] ـ لذلك أوجب الله تعالى على كل فردٍ مسلمٍ أن يقومَ بمهمة تبليغ الآخرين دعوة الله سبحانه ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

وقوله سبحانه :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقول النبي ﷺ : « نضَّرَ اللهُ امرءاً سمعَ مقالتي فوعاها ، وبلَّغها كما سمعها ، فربَّ مبلغٍ أوعى من سامعٍ » .

وعلى كل فرد مسلم أن يدرك أن مهمته بعد الرسول ﷺ الإبلاغ ـ أي الإعلام ـ لا الهداية ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] .

لأن وظيفة الرسول ﷺ وكل من يسير على خطواته ويقتفي أثره هي البلاغ ـ الإعلام ـ ، أما أن لا يتقبل الناس ذلك ، فيعاندوا ويكابروا على ماهم عليه ، فليس هذا شأن النبي ولا من بعده ، إنما القضية كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ولكن إذا قصَّر المسلمون في مسألة تبليغ الدعوة إلى الله تعالى ، معنى ذلك أنهم ارتكبوا إثماً كبيراً ، ودخلوا تحت باب (كتمان العلم) .

---

(١) للتوسع يراجع : عالمية الدعوة إلى الله تعالى ، للمؤلف : ٤٥ـ٦٧ .

لذلك جاء وصف أهل الكتاب بكتمان العلم ضمن الذم ، قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

إذن :

فتح الإسلام الأبواب على مصاريعها من أجل مسائل الإعلام ، لكن شريطة أن تكون الأهداف واضحة وموافقة لأمور الشريعة الإسلامية .

ولا نقول إن الإعلام عمل مشروع فقط ، بل نقول هو عمل واجب ـ وخاصةً في هذه الأيام ـ وعلى جميع أفراد الأمة أن يقوموا بهذا الدور الخطير ، وإلا فهم مهدَّدون بالعقاب الإلٰهي. . . وبالغزو الفكري والثقافي من أعداء الدين . .

وما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن العملية الإعلامية ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ۚ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَاتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَارَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۚ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْ

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٣ـ٣٤] .

وقال سبحانه :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥] .

وقال عز وجل :

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى : ٤٨] .

وقال تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨ـ٢٠] .

وقال عز وجل :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح : ٥ـ٩] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فَذَكِّرْ ۖ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية : ٢١ـ٢٢] .

ومن الأحاديث الصحيحة التي تحدثت في مجالات الإعلام ، قول النبي ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به »[1] .

وقوله صلوات الله عليه : « رُبَّ مبلَّغٍ أوعىٰ من سامِعٍ »[2] .

وقوله ﷺ : « كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : أوَ كائنٌ ذلك يارسولَ الله ؟ قال : والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟

قالوا : أوَ كائنٌ ذلك يارسولَ اللهِ ؟

قال : والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟

ثم قال : قال تعالى بي حلفت لأتيحنَّ عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيراناً » .

. . . وبعث النبيُّ ﷺ معاذاً إلى اليمن ، فقال له ـ في وصية طويلة ـ : « أدعهم إلى شهادة أن لا إلٰهَ إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلةٍ ،

---

(١) صحيح البخاري : ١/ ٢٦ .
(٢) صحيح البخاري : ١/ ٢٣ .

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم »[1] .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : إن الناس كانوا يسألون رسول اللهِ ﷺ عن الخير وكنتُ أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني .

فقلتُ : يارسولَ الله! إنا كنا في الجاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال : « نعم » .

قلتُ : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ » .

قلت : وما دَخَنُهُ ؟

قال : « قومٌ يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » .

قلتُ : فهل بعد ذلك الخيرِ من شر ؟

قال : « نعم ، دعاةٌ إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » .

قلتُ : يارسولَ اللهِ! صفهم لنا .

قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » .

قلتُ : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

قلتُ : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى

---

(١) صحيح البخاري : ٢/١١٢ .

يدركك الموت وأنت على ذلك »[1] .

ومن ذلك قول الرسول ﷺ : « ما يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله ما يضرُّهم من كذَّبهم ولا مَنْ خالفهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم على ذلك »[2] .

لكن المشكلة اليوم : أنه قد خرج بعض الناس ليقولوا : لقد سقطت فريضة الدعوة إلى الله منذ انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وما لنا وذلك كله ؟ والله قد أتم الدين وحفظه ! !

ونقول : صَدَقَتْ نبوءةُ حبيبنا محمد ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علمٍ ، فضلُّوا وأضلُّوا »[3] .

المبحث الثاني

نماذج من تحركات الرسول ﷺ الإعلامية

قبل أن تنزل الرسالة الخاتمة على قلب الرسول الخاتم ﷺ ، كان الرسول في مرحلة الإعداد لما سينزل عليه ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] .

أجل !

فالمهمة التي كانت تنتظر رسول الله ﷺ مهمة جدُّ عظيمة ، ولولا إعداد الله وعنايته ورعايته لما تحمل ذلك العبء إنسانٌ قطّ !

---

(١) صحيح البخاري : ٤/ ٢١٠ .
(٢) صحيح البخاري : ٩/ ١٤٧ .
(٣) صحيح البخاري : ١/ ٣١ .

لذلك كانت من رعاية الله لنبيه أن وهبه صفات رائعة ، وذلك منذ الطفولة ، مثل : رجاحة العقل وحسن التفكير ، حيث كان ـ قبل البعثة ـ شديد التمسك بالنسك ، ورفض السجود للأصنام ، والمجاهرة بأنها لا تضرُّ ولا تنفع ، والإصلاح بين الناس ، وقصة وضع الحجر الأسود في مكانه عند إعادة بناء الكعبة لدليل قوي على رجاحة عقله ﷺ .

يضاف إلى ذلك ما كان يتمتع به من الخلق الحسن ، خاصة الأمانة والصدق والصبر والحلم و . . . ، حى لُقب بالصادق الأمين .

مصداق ذلك أن من أول الآيات المكية التي نزلت قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وهذا ما صرَّحت به السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها عندما عاد إليها الرسول ﷺ وقد بدا عليه الخوف والوجل ، وذلك عندما جاءه الوحي أول مرة . . . فقالت له :

والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . .[1] .

مع ملاحظة أن الله تعالى حفظ النبي ﷺ من كل ما له علاقة بالفحش واللهو ونحو ذلك ، مثال ذلك ما رواه الحافظ ابن كثير :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يهمُّون به من النساء إلا ليلتين ، كلتاهما عصمني اللهُ فيهما ، قلتُ ليلة لبعض فتيان مكة ـ ونحن في رعاء غنم أهلها ـ فقلتُ لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة

---

(١) للتوسع : صحيح البخاري : ١/ ٣ ، طبقات ابن سعد : ١/ ١٩٤ ، تاريخ الطبري ٢/ ٢٩٨ ، عيون الأثر : ١/ ٨٤ .

أسمر فيها كما يسمر الفتيان ، فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت فيها عزفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلتُ : ماهذا؟

قالوا : تزوج فلان وفلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلتُ : ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلتُ له ليلةً أخرى أبصر لي غنمي حتى أسمر ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعتُ مثل الذي سمعتُ تلك الليلة ، فسألت فقيل : نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني ، فواللهِ ما أيقظني إلا مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلتَ ؟ فقلتُ : لاشيء ، ثم أخبرتُهُ الخبر ، فوالله ما هممتُ بعدهما لشيءٍ من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته »[1] .

كل هذا يأتي شارحاً لقوله تعالى وهو يردُّ على زعماء قريش : ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

إضافة إلى بعض الأمور التي ساعدت في إعداد شخصيته ﷺ ، كرعاية الغنم ، ليتدرب على رعاية البشر ، ومسألة حبّه صلوات الله عليه الخلاء والتنسك والانقطاع عن الناس والرؤيا الصالحة . . ، كل ذلك ليكون على منهج قويم حتى قبل الرسالة .

ثم تتالت البشارات والتأييدات . كما في مسند الإمام أحمد بالسند المتصل إلى أبي أمامة رضي الله عنه قال : قلتُ يارسولَ الله ما كان بدء أمرك ؟

---

(١) البداية والنهاية : ٢/ ٢٨٧ـ٢٨٨ .

قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ أضاءت لها قصور الشام » .

ولما أصبح ﷺ في الأربعين أُنزلت عليه الرسالة ، وكما يقول العلماء : سنَّ الأربعين هو سنُّ اكتمال العقل ونضوجه .

وهذا الأمر هو العهد والميثاق الذي أخذه الله على جميع الأنبياء السابقين ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وهكذا نرى في أول آية أنزلت على الرسول ﷺ ، نرى الجانب الدعوي الإعلامي : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ـ٥] .

ثم كانت السورة الثانية من القرآن ـ حسب التسلسل الترتيبي للسور القرآنية ـ وهي سورة المزمل ، وفيها أوامر للرسول تدور حول كيفية الاستعداد لتحمل المهام الثقيلة الملقاة على كاهله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ١ـ٥] .

ثم تنزل سورة المدثر والتي في بداياتها وجوب التبليغ والإنذار ، وهذه هي وظيفة الرسول ﷺ وهي إعلام الآخرين بما جاءه من عند الله ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر : ١ـ٧] .

وهذا الأمر ـ الإعلام والإبلاغ ـ لا يخص النبي الخاتم ، إنماينطبق

على جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٨ـ٤٩] .

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

من هنا نستطيع القول : إن جميع الأنبياء والرسل ، وخاصة الرسول الخاتم ﷺ هم رجال إعلام من الطراز الأول ، فهم قد أُعدُّوا من قِبَلِ الله تعالى وجُهّزوا بصفات و . . . ، تؤهلهم ليكونوا أنجح الناس في التفاعل مع الآخرين . . .

ولعل ما ورد في كتب العربية ما يدل بوضوح على ذلك ، مثل : أن أصل كلمة (النبي) من الإنباء ، ومعناه : أن لفعل يخبر عن حقيقتك لا القول أو النبوة[1] .

وهكذا في كلمة الرسول والرسالة أي المخبر عن الله عز وجل ، كما قال ابن منظور : الإرسال تعني التوجيه ، وقد أرسل إليه ، والاسم الرسالة .

وقال أبو بكر الأنباري في قول المؤذن : (أشهد أن محمداً رسول الله) : قال : أعلم وأبيِّن أن محمداً ﷺ متابع للإخبار عن الله عز وجل[2] .

---

(١) للتوسع : لسان العرب لابن منظور : ٤٣١٦ ، مختار الصحاح للرازي : ٦٤٥ ، تهذيب الصحاح للزنجاني : ١٠٧٢ـ١٠٧٣ .

(٢) للتوسع يراجع : تهذيب الصحاح : ٦٥٤ ، لسان العرب : ١٦٤٦ .

فكيف مارس الرسول ﷺ الإعلام عملياً ؟!

نستطيع تقسيم المسألة إلى مرحلتين هما : العهد المكي ، والعهد المدني .

١ـ العهد المكي :

حتماً كل جهد يُبذل لنشر تعاليم الدين الإسلامي هو جهد إعلامي ، ذلك لأن الدين الإسلامي دين دعوة ، والدعوة بكل جزئياتها وتفاصيلها عمل إعلامي .

وفي البداية ـ بداية الدعوة ـ مارس رسول الله ﷺ الإعلام سراً .

وبدأ بأقرب الناس إليه ، فكان أول عملٍ دعوي إعلامي له هو إبلاغ زوجه خديجة رضي الله عنها ، ثم ابن عمه علي ، ثم مولاه زيد بن حارثة .

ثم بدأ بتوسيع الدائرة ، فراح يدعو بعض أصدقائه و . . . ، وبقيت مدة الدعوة السرية زهاء ثلاث سنوات .

بعدها انطلق الرسول إلى مسألة الدعوة العلنية ـ واستمر ذلك في مكة زهاء عشر سنوات ـ والأمر كان من عند الله تعالى ، كما في قوله عز وجل : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] .

وقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

[الشعراء : ٢١٤ـ٢١٧] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم : ١] .

ورد في كتب السيرة : أنه لما نزل على النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ اشتدَّ ذلك على النبي ﷺ وضاق به ذرعاً ، فمكث شهراً أو نحوه جالساً في بيته حتى ظنَّ عمَّاته أنه شاكٍ ، فدخلنَ عليه عائداتٍ ، فقال ﷺ : « ما اشتكيتُ شيئاً ، لكن الله أمرني بقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فأريد أن أجمع بني عبد المطلب لأدعوهم إلى الله تعالى .

قلنَ : فادعهم ولا تجعل عبد العزَّىٰ فيهم ـ يعنين عمه أبا لهب ـ فإنه غير مجيبك إلى ما تدعو إليه ، وخرجنَ من عنده ﷺ .

قلنا : فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث إلى بني عبدا لمطلب فحضروا ، وكان فيهم أبو لهب ، فلما أخبرهم بما أنزل الله عليه أسمعه مايكره ، قال : تبًّا لك ألهٰذا جمعتَنا ؟ وأخذ حجراً ليرميه به وقال له : ما رأيتُ أحداً قطُّ جاء بني أبيه وقومه بأشرّ ما جئتهم به ، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس .

ثم مكث ﷺ أياماً ونزل عليه جبريل وأمره بإمضاء أمر الله تعالى ، فجمعهم رسول الله ثانياً وخطبهم ثم قال : « إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبتُ الناسَ جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس كافةً ، والله لتموتنَّ كما تنامون ، ولتبعثنَّ كما تستيقظون ، ولتحاسبنَّ بما تعملون ، ولتجزونَّ بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنَّةٌ أبداً أو لنارٌ أبداً ، والله يا بني عبد المطلب ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

فتكلم القوم كلاماً ليِّنا غير أبي لهبٍ ، فإنه قال : يابني عبد المطلب ، هذه والله السَّوأة خذوه على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم ، فإن

أسلمتموه حينئذٍ ذلَلْتم ، وإن منعتموه قُتلتم .

فقالت له أخته صفية عمة رسول الله ﷺ : أي أخي أيحسُنُ بك خذلان ابن أخيك ؟ فوالله مازال العلماء يُخبرون أنه يخرج من ضئضىء عبد المطلب[1] نبيٌّ ، فهو هو .

قال : هذا والله الباطل والأماني وكلام النساء في الحجال ، إذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قُوّتنا بهم ؟ فوالله ما نحن عندهم إلا آكلةُ رأسٍ .

فقال أبو طالب : والله لنمعنَّه ما بقينا .

ثم دعا النبي ﷺ جميع قريشٍ وهو قائم على الصفا . . .[2] .

لكن هل توقف الرسول ﷺ عند دعوة أهل مكة ؟

أبداً ، إنما توسّع إلى خارج الحدود ، فانطلق يدعو أهل الطائف ، آملاً أن يجد عندهم الطاعة وحُسن الاستماع .

لكن ـ وللأسف ـ لم يكن أهل الطائف أحسن حالاً من أهل مكة ، فلما دعاهم إلى التوحيد ، سلَّطوا عليه الغلمان والمجانين و . . ، ورموه بالحجارة وأدمَوا قدميه و . . . ، ثم طُرد شرَّ طردة من الطائف ! !

وفي الطريق إلى مكة ، جلس ليرتاح قليلاً ، فأسند ظهره إلى جدار بستان ، وهناك رفع تقريره إلى رافع السماء بلا عمد ، وجاء فيه :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس

---

(١) قال العلامة ابن الأثير : الضئضىء هو الأصل . أي يخرج من نسله وعقبه . [النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣/ ٩٩] .

(٢) للتوسع يراجع : صحيح البخاري : ٤/ ٢٢ ، الكامل لابن الأثير : ٢/ ٤٠ ، السيرة الحلبية : ١/ ٢٨٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٣/ ٨٢ .

يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربي إلى مَنْ تكلني ؟ إلى بعيدٍ يتجهمني[1] أم إلى عدوٍّ ملَّكتَه أمري ؟ إن لم يكن بكَ عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكنْ عافيتُكَ هي أوسعُ لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليَّ سخطك ، لك العتبىٰ[2] حتى ترضىٰ ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[3] .

وهكذا ، لم يترك رسول الله ﷺ زماناً ولا مكاناً يستطيع من خلالها أن يعلّم الناس ويدعوهم إلى الله تعالى إلا فعل!

فكان يعرض نفسه على القبائل في الأسواق ـ خاصةً في موسم الحج ـ ، وهذه وظيفة إعلامية ناجحة .

لكن الأسلوب الذي اتبعه في ذلك هو أسلوب ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وتارةً يلتقي بهم جماعات جماعات ، وتارةً يلتقي بهم فرادى فرادى ، ولم يكن اليأس يتسلل إلى صدره ، فهو يدعوهم مرةً ومرةً . . . ثم يعود في العام القادم .

وقد ورد في كتب السيرة أنه صلوات الله عليه دعا قبائل : همدان ، وكندة ، وبني عامر بن صعصعة ، وبني حنيفة ، وقبيلة عبس ، وبني مُحارب ، وقبيلة كلب ، وبني شيبان بن ثعلبة ، وغيرهم .

من ذلك : أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته

---

(١) أي : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

(٢) أي : الرضا .

(٣) للتوسع : صحيح البخاري : ٤/ ١٣٩ ، مسند أحمد : ٤/ ٣٣٥ ، طبقات ابن سعد : ١/ ٢١١ ، سيرة سيد الإنام ، للمؤلف : ٢/ ١١٧ـ١٣٣ .

مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة ، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي المواسم كل عام يتَّبعُ الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظٍ ومجنَّة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلِّغ رسالات ربهم ولهم الجنة ، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلةً قبيلة ويقول :

« يا أيها الناسُ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذلُّ لكم العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة » .

وأبو لهبٍ وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابىء كاذب ، فيردُّون على رسول الله ﷺ أقبح الردّ ، ويؤذونه ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، ويكلمونه ويجادلونه ، ويكلمهم ويدعوهم إلى الله ويقول : « اللهم لو شئتَ لم يكونوا هكذا »[1] .

ويشاء الله تعالى أن تكون ثمار الدعوة والإعلام المحمدي أن يلتقي الرسول ﷺ بوفد الأنصار ويبايعهم على دعوته[2] .

إضافة إلى ما قام به الرسول ﷺ من دعوة وإعلام بشكل منفرد ، لا ننسىٰ الجهود الكبيرة التي قدمها الصحابة الكرام في هذا المجال ، كالهجرة إلى الحبشة وما فيها من وسائل إعلامية ناجحة ، حيث امتدت رقعة الدعوة إلى الحبشة وخاصة إلى ملكها (النجاشي) وأسلم عدد لا بأس به من الناس[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢١٦ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٢/ ١٨٦ .

(٢) للتوسع يراجع : سيرة ابن هشام : ٢/ ٣٧ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٦/ ٤٢ ، طبقات ابن سعد : ١/ ٧١٢ ، عيون الأثر : ١/ ١٥٥ ، تاريخ الطبري : ٢/ ٣٥٣ ، صحيح البخاري : ٥/ ٧٠ .

(٣) طبقات ابن سعد : ١/ ٣١٦ ، صحيح البخاري : ٥/ ٦٣ ، البداية والنهاية : ٣/ ٦٧ .

مثال آخر : إرساله صلوات الله عليه مصعب بن عمير رضي الله عنه ليقوم بدور الإعلامي الداعية المبلغ . . وبالفعل كان دوراً ناجحاً ، حيث تسلّل الإيمان إلى قلوب الكثيرين من أهل يثرب . . ، ليكونوا نواة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية بعد أن ينتقل الرسول والصحب إلى المدينة المنورة[1] .

مثال آخر : أن كثيراً من الصحابة الكرام كانوا ينقلون إلى ذويهم كل ما يسمعون من الرسول ﷺ ، فمعاذ بن جبل رضي الله عنه صلى ذات يومٍ وراء رسول الله ، ثم انطلق إلى حيّه ليصلي فيهم[2] .

مثال آخر : ما كانت تقوم به النساء ، خاصة زوجة النبي خديجة ، وزوجات الصحابة الكرام رضي الله عن الجميع .

٢ـ العهد المدني :

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة مع غالبية الصحب الكرام ، وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، برزت مجالات الإعلام بروزاً واضحاً :

فالمسجد : ـ خاصةً بعد بناء المسجد النبوي الشريف ـ أصبح من أهم الوسائل الإعلامية حيث الأذان ـ والذي يعني في اللغة الإعلام ـ يعلن كل يوم خمس مرات ، وإذا كانت هناك مسألة مهمة ، كان ينادي : الصلاة جامعة . . .

---

(١) للتوسع : دلائل البيهقي : ٢/ ٤٣١ ، تاريخ الطبري : ٢/ ٣٥٧ ، سيرة ابن هشام : ٢/ ٤٣ .

(٢) للتوسع يراجع : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ١٣/ ١٣٢ .

والصلوات الخمس تعتبر من أكبر الوسائل الإعلامية ، فهي التي تربط الشعب بقائده يومياً ، وهي التي تجعل المسلمين يتفقدون بعضهم بعضاً ، وهكذا كانت صلاة الجمعة ، حيث يعلّم الرسول ﷺ بعض الأمور التشريعية إضافة إلى الحديث عن أهم الأحداث السياسية المحيطة .

وهناك مجالس للرسول ﷺ ، كان قد خصصها ليعلّم الناس أحكام الإسلام ونحو ذلك .

مع ملاحظة ما كانت تؤديه صلاة العيد وخطبتها من قضايا إعلامية ، يستفيد من خلالها أكبر عدد ممكن من المسلمين .

ثم لا ننسى ما حققته الكتب والرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى الملوك و . . . في مجالات الإعلام والدعوة ، ففي السنة السابعة للهجرة أرسل كتباً إلى كلٍ من : النجاشي ملك الحبشة ، وإلى قيصر ملك الروم ، وإلى كسرى زعيم الفرس ، وإلى المقوقس زعيم مصر ، وإلى صاحب اليمامة جبلة بن الأيهم ، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني وغيرهم[1] .

إضافة إلى إلى فتح مكة ، حيث كان لذلك دويٌّ إعلاميٌّ قويٌّ ، لأن العرب كانوا ينظرون إلى مكة على أساس أنها منارة التقديس ، ففيها الكعبة وبيت الله الحرام وشعائر الحج ومناسكه ، وبالتالي فسقوطها في أيدي المسلمين يعني الشيء الكثير .

ثم كانت حجة الوداع ، لتعتبر بحق من أعظم المناسبات الإعلامية وأبعدها أثراً في نفوس المسلمين وقتئذٍ ، حيث استمع إليه أكثر من مائة

---

(١) للتوسع يراجع : سيرة ابن هشام : ٤/ ٧ ، دلائل البيهقي : ٥/ ٦ ، تاريخ الطبري ٣/ ٤٤ ، طبقات ابن سعد : ٢٠/ ١٣٤ ، عيون الأثر : ٢/ ١٦٤ ، فتوح البلدان : ٥١ ، صحيح البخاري : ٥/ ١٨٤ . . .

ألف مسلم ، ورأىٰ ما يقوم به صلوات الله عليه من مناسك كثيرٌ من المسلمين ، لذلك دخل الكثيرون من غير المسلمين في الدين الحنيف على أثر حجة الوداع .

ولو أردنا التوقف عند وسيلة من الوسائل التي اتّبعها الرسول ﷺ في مجالات الإعلام ، لرأينا ـ على سبيل المثال ـ مسألة الخطب :

والرسول ﷺ هو الذي كان يخطب الجمعة من فوق المنبر . وفي : إحدى خطبه يقول :

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلَّة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد شهد ، ومن يعصه فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضَّه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول عز وجل : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٩] .

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وأن تقوى الله يوقي مقته ويوقي عقوبته ويوقي سخطه ، وأن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب ويرفع الدرجة .

خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حيَّ عن بيِّنة ولا قوة إلا بالله .

فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »[1] .

إضافة إلى خطب العيد والجمعة ، كان الرسول ﷺ يجمع الناس في أوقات طارئة ليخطب بهم ، مثل : خطبته عند الكسوف أو الخسوف ، وخطبته ليلة القدر ، وإخباره عما سيحدث مستقبلاً ، وخطبته في حديث شائعة الإفك . . وغير ذلك .

والذي يميز الخطب النبوية عدة أمور أهمها : أنها خطب بيانية إعلامية ، وذلك لأن الخطبة تعتبر من أنجح الوسائل السمعية البصرية ، خاصة إذا كانت خطبة هادفة مدروسة منظمة .

---

(١) تاريخ الطبري : ٢/ ٣٩٤ .

وهكذا بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وانتشار الفتوحات و . . . أصبح بعض المدن منارات للإعلام ، كمكة والمدينة ، والكوفة والبصرة ، والشام ومصر ، والمغرب والأندلس ، وجرجان واليمن ، وقزوين وخراسان و . . . ، وكان لتواجد طلبة العلم هنا وهناك وارتحالهم من بلد إلى آخر أكبر الأثر في تفعيل الحركة العلمية والعملية . .

* * *

الباب الثاني

من قضايا الإعلام المعاصر

الفصل الأول : وسائل الإعلام المعاصر

الفصل الثاني : عملية الاتصال الجماهيري

الفصل الثالث : تأثير وسائل الإعلام ودورها .

الفصل الرابع : حُسن استخدام الأعداء
لوسائل الإعلام!!

الفصل الأول

وسائل الإعلام المعاصر

في الواقع المعاش يرى الإنسان ويلمس مدى تأثير وسائل الإعلام على الناس ، ولذلك ليس بعيداً أن يوصف هذا العصر بعصر الإعلام!!

صحيح أن العهود الماضية تتميز بعهود القوة العسكرية أو.. أو.. لكن اليوم تعتبر الدولة قوية ، ويعتبر المجتمع قوياً بقدر ما يملك من وسائل إعلام تؤثر بالآخرين .

وما حدث في حرب الخليج الثانية ـ عند إخراج العراقيين من دولة الكويت ـ لهو دليل حيٌّ واضحٌ على قوة تأثير الإعلام ، حيث استطاعت وسائل الإعلام الغربي أن تصوّر الجندي العراقي وهو يلثم أحذية الجندي الأمريكي ويتذلل بين يديه ويطلب منه السماح والمساعدة!!

أجل ، فالإنسان في هذا الزمان يُغزى إعلامياً وثقافياً ، بل ويُقتل إعلامياً ، لذلك جنَّد الغربيون جيوشاً من خبراء الإعلام وأصحاب الحملات الإعلانية وخبراء الدعاية ليقوموا بكل الحروب النفسية على الآخرين ، ليصبح الآخرون لقمة سائغةً في أفواه الجشعين...

وهذه المسألة ـ تأثير الإعلام ـ لا تنحصر بأمور الحرب والسلام فحسب ، بل تشمل كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية..

لذلك نستطيع القول ـ ومن واقعنا العملي الملموس ـ إن كل شيءٍ في

هذه الأيام خاضع للإعلان والإعلام .

ولعل مسلسلاً واحداً تعرضه وسائل الإعلام ـ خاصة التلفزيون ـ له من التأثير أكثر من مائة مدرسة ومائة منبر ومن مائة واعظ ! !

فهل نقول : إن وسائل الإعلام المعاصر ما هي إلا مسكِّنات أو مخدرات ؟!

فما هي وسائل الإعلام المعاصرة ؟

يستطيع الباحث تقسيم الوسائل الإعلامية المعاصرة إلى عدة فئات ، أهمها :

آـ وسائل الإعلام المقروءة :

كالصحف والمجلات والكتب والنشرات ونحو ذلك .

وهذه الوسائل تعتبر من الوسائل الإعلامية واسعة الانتشار ، وهي قابلة للنقل والتحرّك ، وهي بعيدة التأثير بالآخرين ، ويمكن أن يستفيد منها عدد كبير من شرائح المجتمعات ، فالمثقف يستفيد من الأبحاث الأكاديمية المتخصصة فيها ، والرجل العادي يستفيد من الأخبار السريعة ، والأمور التي لا تعتمد على التحليل ونحو ذلك ، والتاجر يستفيد من مسألة الإعلانات وهكذا . . .

ويأتي تأثير الوسائل الإعلامية المقروءة على القارىء من خلال سحر الكلمة المكتوبة على النفوس ، لتدخل إلى الأذن ومن ثم إلى العقل والقلب دون استئذان ! ودون واسطة أيضاً !

وهكذا تستطيع وسائل الإعلام المقروءة أن تشجّع الفرد في تكوين شخصية تهتم بالثقافة ، ليستطيع التفاعل مع ما يجري من هذه التسارعات في تكوين الفكر والثقافة .

وبالتالي فكلما كانت وسائل الإعلام المقروءة تمتلك سمات وخصائص متميزة ـ كالمعرفة الناضجة الطازجة ومدى تفعيل الوحدة الاجتماعية والوحدة الثقافية للأفراد عامة ، ومدى تنشيط الحركة الاقتصادية ـ وما إلى هنالك ، كلما كانت هذه الوسائل تتسم بأكبر عدد من الخصائص ، كلما كانت أكثر تأثيراً .

لكن هل نقول عن الانترنيت إنه وسيلة إعلامية مقروءة ، أم لا ؟![1] .

ب ـ وسائل الإعلام المسموعة :

فيما مضى كان للشعر دورٌ كبير في قضايا الإعلام ، حيث كان الشاعر يمثل في العهود الماضية وسيلة إعلامية مميزة[2] .

ولعل ما يحمله الشعر من مزايا وصفات ـ كسهولة حفظه ، وحرارة عاطفته ، وعذوبة موسيقاه ، وما إلى هنالك ـ هو الذي أعطاه هذه الأهمية .

لذلك إذا كان الشعر نظيفاً وهادفاً أدى دوراً مهماً وكبيراً ، ولا ننسى الدور الفعّال الذي قام به شعراء الدعوة الإسلامية في عهد الرعيل الأول .

لذلك ورد في الصحاح والسير أن رسول الله ﷺ طلب من حسان بن ثابت توظيف شعره للمنافحة عن الرسول والمسلمين وبالتالي لتوظيفه لخدمة الدين الحنيف ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أهجهم وروح القدس معك » ومن هجائه للزبرقان بن بدر قوله :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَاللهِ في ذاكَ الجزاءُ

---

(١) للتوسع يراجع كتاب الانترنيت إيجابياته وسلبياته ، للمؤلف ٣٧ـ٥٤ .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : الشعر والشعراء في ميزان الشريعة الإسلامية ، للمؤلف: ١٤٦ـ١٦٩ .

أتهجـــوه ولســـتَ لـــه بكـــفءٍ فشـــرُّكُمـــا لخيـــركمـــا الفـــداءُ
هجـــوتَ مبـــاركـــاً بَـــرّاً حنيفـــاً أميـــنَ اللهِ شيمتُـــهُ الـــوفـــاءُ
فمـــنْ يهجـــو رســـولَ اللهِ منكـــمْ ويمـــدحـــهُ وينصـــره ســـواهُ
فـــإن أبـــي ووالـــده وعـــرضـــي لعـــرض محمـــدٍ منكـــمْ وقـــاءُ

* * *

وهكذا كان حال الصحابي عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فقد أوقف شعره على الدفاع عن الرسول والمسلمين ، وكأنه يقوم بدورِ الإعلامي الصادق النظيف ، لذلك نال الوسام من الرسول ﷺ ـ كما في صحيح البخاري ـ « إن أخاكم لا يرفث » وذلك عندما قال :

وفينـــا رســـول الله يتلـــو كتـــابـــه إذا انشق معروف من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا بـــه مـــوقنـــات أن مـــا قـــال واقـــع
يبيـت يجـافي جنبـه عـن فـراشـه إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

* * *

وكان الرسول ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين يقومون بدور التصحيح الإعلامي لهذه الوسيلة ـ للشعر ـ الخطيرة ، ذلك لأن الشاعر إذا خرج عن طور الواقع وحلّق في الفراغ وأكثر من الفخر و. . . ، قد يعطي تأثيراً سلبياً .

مثال ذلك :

عندما جاء (النابغة الجعدي) إلى رسول الله ﷺ وأنشده :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلـــو كتـــابـــاً كـــالمجـــرَّة نيِّـــراً
بلغنا السماء مجدنا ، وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا!!

فقال الرسول ﷺ وهو يُعيد الأمور إلى مجاريها : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » فقال النابغة : إلى الجنة يارسول الله .

فعقّب الرسول بقوله : « إن شاء الله تعالى » .

فتابع النابغة قوله ـ بعد أن سمع قول الرسول التصحيحي ـ :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وهذا كلام مطابق لأمور الشريعة ، فهو دعوة إلى التحلّي بمكارم الأخلاق ، لذلك قال النبي ﷺ له : « لا يفضضنَّ اللهُ فاكَ » .

* * *

هذا ما يتعلّق بالشعر كوسيلة إعلامية سمعية ، فماذا عن الخطابة ودورها في هذا المجال ؟

إذا كان الخطيب ناجحاً في إلقاء خطبته ، وذلك من خلال امتلاكه للعناصر المشوّقة في الخطبة ، وأهمها عنصر الإثارة ، حيث يستطيع من خلال تقديم الحجج ونحو ذلك ، يستطيع تهييج الجماهير ، وحثّها على أمرٍ ما أو ترك أمرٍ ما .

كذلك أن تكون طريقة إلقاء الخطبة إلقاءً ارتجالياً ، ليجعل المستمع يتابع حركاته ويسمع كلامه ، عندئذٍ يستطيعُ الخطيب تحقيق ما يريد .

أما أن تكون الخطبة مجرد أن يقف إنسان على أعواد المنبر ثم يُخرج ورقة من جيبه ، ثم يُلقيها على الناس ، فهذه ليست خطبة أبداً ، إنما هي مجرد قراءة لبعض الصفحات ، لذلك لا يتأثر المستمع بها .

وتؤكد الوقائع العملية أن الخطيب الناجح يؤثر بالمستمعين تأثيراً عجيباً ، فالخطبة ليست إلا موهبة إلٰهية ، إضافة إلى تدريبات معينة ،

فإشارة اليدين ، وتحركات الجسم ، وتعبيرات ملامح الوجه ، ونبرات الصوت . . كل هذا يؤدي إلى مزيدٍ من الإثارة ، بحيث ينتقل ذلك ـ وعن طريق العدوى ـ أو ما يشبه الحركة الموجيّة المتتابعة ، ليصبح ما يشبه التصوير الحسي . . من الخطيب إلى المستمعين ، لذلك ترى البعض يقلِّد حتى حركات الخطيب ! !

ومع ذلك فلا بدَّ من البرهان الخطابي ، فلا الحماس الفارغ يجدي ، ولا المعلومات الجامدة تغني ، إنما لابد من أن يراوح الخطيب بين البرهان المنطقي وبين البرهان العقلي ، وذلك من أجل مخاطبة كل الشرائح المجتمعة .

ولعل مدى صدق الخطيب وإخلاصه وتفاعله مع ما يقول هو الرأسمال الحقيقي الذي يعطي غاية النجاح ، فيصل كل ما يريده الخطيب إلى المستمعين (وما خرج من القلب دخل في القلب . .) ، لذلك إذا دمعت عينا خطيب صادق وجدت غالبية الحضور تدمع عيونهم وهكذا . . .

إذن :

هل هناك وسائل إعلام سمعية غير الشعر والخطابة ؟

أجل : هناك الندوات ـ بكل أشكالها ـ وهناك المناظرات ، وهناك المحاضرات و . . .

والأهم من ذلك كله هناك الإذاعة ، وهنا يكمن الخطر الكبير ! !

فمن طبيعة الإنسان ـ كما يقول العلماء ـ أنه حينما يريد تركيز ذهنه في فكرة ما يغمض عينيه ، وذلك كي تنشط ذاكرته ، وتتحرك مخيلته ، فتتعمق الفكرة وتقوى .

وهذا مايفعله المذياع في الناس ، فهو الذي يستيطع إيصال الأمر

الإعلامي عن طريق حاسة السمع وحدها ، ولا تمييز بين تلقي المثقف والعادي ، إنما لكل تحليلاته المناسبة له ، وهذا هو تأثير الإذاعة على كل الشرائح في المجتمع .

وبالفعل تعتبر الإذاعة وسيلة قوية التأثير وذلك لانتشارها بسبب ما تحمله من خصائص : فهي لا تكلف المستمع شيئاً ، ولا تكلفه جهداً ، ولا تأخذ وقته ، ولا تتطلب فراغاً . . .

ج ـ وسائل الإعلام البصرية :

وهي كثيرة ، مثل الملصقات ، والمنحوتات ، واللوحات الفنية ، والفولكلور الشعبي ، ونحو ذلك ، وكلها تعتمد على الإثارة اللونية ، لذلك فلها آثار سريعة في نفس المشاهد .

د ـ وسائل الإعلام السمعية البصرية :

وهي التي تعتمد على حاستين من أجل إيصال المعلومة ، وهما :

حاسة البصر وحاسة السمع .

والواقع أن هذا النوع من الوسائل له تأثير كبير جداً على عقول ونفسيات الناس ، وذلك لأن الهدف من وراء ما يطرحه هذا النوع من الإعلام يترسخ في النفوس من خلال ما يدخل في النفوس عن طريق ما يسمع المشاهد ويرى ، ومن أهم تلك الوسائل :

المسرح : وما يقدم عليه من قصص ومسرحيات ، فإذا كانت هادفة أعطت نتائج حسنة ، وإلا أدت إلى تخريب السلوك وغسل الدماغ!

لكن هناك ما هو أقوى من المسرح تأثيراً وهو التلفاز :

وذلك لأن التلفاز أكثر رواجاً في المجتمعات وأقل تكلفة ، ولا يحتاج إلى تفرغ وقت محدد ، إنما يستطيع المشاهد أن يشاهد

ساعات من البث التلفزيوني وهو مستلقٍ في بيته ، يرتاح من عناء العمل و. . . ، وتستطيع ربة المنزل أن تقوم ببعض الأعمال المنزلية ونحو ذلك . .

لذلك ومن خلال أن التلفاز يشغل حاستين من حواس المشاهد : وهما السمع والبصر ، كان له الدور الأكبر في مسألة توصيل الرسالة الإعلامية .

حتى الخيال لا يتحرك أثناء مشاهدة البرامج التلفزيونية ، فيصبح الإنسان ـ بحقٍّ ـ أسير التلفاز ويصبح لا يدري ما حدث حوله . . ! !

من هنا نعرف سر اهتمام الغرب ونحوه بالبث التلفزيوني ، وخاصة عن طريق الأجهزة الفضائية والستلايت ، فهناك بعض الدول تملك أكثر من (٧) سبع محطات تبث على مدار (٢٤) ساعة . . .

ويستطيع المتلقي ـ اليوم ـ أن يشاهد كل ما يدور في العالم ، عن طريق الصحون المقعرة وليس في ذلك غضاضة إذا كان يُحسن الغربلة والانتقاء ، وذلك لأن الفضائيات منها الهادف الذي يقدم البرامج الحسنة النافعة ، ومنها الساقط الذي يهدف إلى تهييج الغرائز الجنسية والسعار الجنسي الفاضح بل والشذوذات الجنسية ! !

إضافة إلى الإشاعات التي تُطلقها بعض الفضائيات لإسقاط مواقع المسلمين هنا أو هناك ، أو من أجل إرباك ساحة زيدٍ أو عمرٍ . . . لكن الله قال في القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

* * *

الفصل الثاني

عملية الاتصال الجماهيري

أصل كلمة الاتصال Communication من الكلمة : Common وتعني مشترك .

لذلك فعندما نقوم بعملية الاتصال ، معنى ذلك أننا نحاول أن نقيم رسالة مشتركة : Commonness مع شخص أو جماعة ما ، أي أننا نحاول أن نشترك سوياً في معلومات أو أفكار أو مواقف واحدة ، وما إلى هناك .

فالمستقبل والمرسل يشتركان معاً Tuned togethe في رسالة واحدة .

ويضاف إليها الهدف ، أو جهة الوصول Destinatio .

وهناك تعريفات كثيرة لعملية الاتصال ، وكلاً منها تنحو منحى ما ، ومن الأمثلة على ذلك :

هي : بث رسائل واقعية كالمعلومات والأخبار التي تنشرها وسائل الإعلام عن الأحداث المختلفة ، أو بث رسائل خيالية كالقصص والروايات والأغاني و. . . ، على مجموعات كبيرة من الناس ، على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وعلى اختلاف أماكن تواجد هذه المجموعات .

أما تعريف (كارل هوفلاند) فهو : إن الاتصال هو العملية التي ينقل

بمقتضاها الفرد (القائم بالاتصال) منبهات (عادة رموز لغوية) لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين (مستقبلي الرسالة) . . .

ويرى (تشارلس موريس) أن اصطلاح الاتصال حينما نستخدمه بشكل واسع النطاق ، فإنه يتناول أي ظرف يتوافر فيه مشاركة عدد من الأفراد في أمر معين ، ولكن موريس يقصر الاتصال على استخدام الرموز لكي تحقق شيوعاً ومشاركةً لها مغزىً ، أي أن تحقيق تآلف حول قضية معينة سواءً بواسطة الرموز أو أي وسيلة أخرى يسميها موريس شيوعاً : Communization .

قياساً على ذلك فإنه حينما يغضب شخص ما ، فقد ينتقل الغضب إلى شخص آخر ، وهذا الظرف ينطوي على إحساس مشاع أي مشاركة .

ومن ناحية أخرى قد يبدي شخصاً دلائل توحي بالغضب بدون أن يغضب فعلاً ، وهذه الظواهر قد تجعل شخصاً آخر يبدي بدوره مؤشرات تدل على الغضب ، وبالتالي ما يحدث في هذه الحالة هو (عملية اتصال) .

إذن :

يمكن أن يعبر عن الاتصال بما يلي : هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة (كائنات حية ، أو بشر ، أو آلات) في مضامين اجتماعية معينة ، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات (منبهات) بين الأفراد عن قضية معينة ، أو معنى مجرد ، أو واقع معين ، فنحن حينما نتصل نحاول أن نشرك الآخرين ونشترك معهم في المعلومات والأفكار ، فالاتصال يقوم على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء . . .

من هنا نفهم ما ذا تعني مقولة : العالم اليوم هو القرية الواحدة!!

وذلك لأن وسائل الاتصال الحديثة قد عملت على تماسك وتوحيد مجتمعات تتخطى الحدود السياسية الحالية ، هذا على الرغم من بقاء الفروق النفسية بين الشعوب على ما هي عليه ، بل لعلها قد زادت عن ذي قبل .

لكن المشكلة البارزة دوماً أن عملية الاتصال تعتبر عملية ديناميكية متصلة الحلقات ، وبالتالي فإن الموقف الاتصالي يتأثر بأمور عديدة ، منها :

الخلفية الثقافية والاجتماعية والنفسية وغيرها . . .

وهناك نماذج وأنماط عدة لعمليات الاتصال ، ومنها نموذج (شانون وديفر) للاتصال ، وفيه بيان واضح لرحلة المعلومات من المصدر إلى وسيلة نقلها :

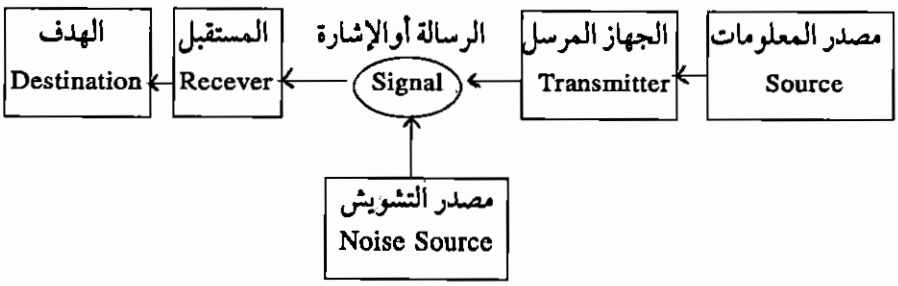

« رسم توضيحي لنموذج شانون وويفر للاتصال » .

وأما أساليب الاتصال و . . ، فذاك أمر في غاية الصعوبة :

لكن محور أساليب الاتصال هي محاولة السيطرة والتحكّم في عقل الإنسان وسلوكه ، لذلك اختلفت الأسماء التي يعبر بها عن أساليب الاتصال وفنونه تبعاً للغرض الذي يراد تحقيقه من عملية الاتصال ، أو تبعاً لدرجة الترغيب أو الترهيب ، أو تبعاً لكونها عملية اتصال قصيرة المدى (كالتسلية) أو طويلة المدى (كالتعليم والثقافة) أو تبعاً لكونها اتصالاً تحضيرياً أو اتصالاً تطويعياً أو غير ذلك من العوامل ، واستخدمت الكلمة المطبوعة (في الصحيفة والكتاب) والكلمة المسموعة (في الإذاعة) والصورة والصوت (في التلفزيون والسينما) وغيرها من أساليب الاتصال لتحقيق الأهداف المطلوبة أو المتوقعة .

لكن هناك طائفة من أشكال الاتصال وأساليبه ، منها :

الإعلام : والذي يعني تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق والأخبار الصادقة بقصد معاونتهم على تكوين الرأي السليم و . . .

والإعلان : والذي هو وسيلة من وسائل الدعاية التجارية ، والتي تهدف إلى نقل السلعة من مكان إنتاجها إلى مكان استهلاكها عن طريق ترغيب المستهلك في الإقبال على السلعة . . .

والعلاقات العامة : وهي أداة الاتصال بين شخص أو جماعة أو مؤسسة والجماهير ، أي أنها أداة تنظيم الصلة بين المسؤولين والرأي العام .

والحرب النفسية : والتي تهدف إلى تحطيم الروح المعنوية للعدو ، دون قتال فعلي بالتحام السلاح . . .

وغسيل المخ : وهو الإقناع الخفي Hidden persusion أو التحويل الفكري : Conversion . . وهكذا . . .

لكن كيف يتفاعل الجمهور مع وسائل الإعلام المختلفة ، وبالتالي ما دور الإعلان في ذلك كله ؟ وما هو موقف الإسلام من ذلك ؟ . .

طرح (المو روبر) عدة تساؤلات تتعلق بدرجة استخدام الجمهور لوسائل الإعلام ، أهمها :

من أين تحصل على معظم أخبارك بالنسبة لما يدور في العالم اليوم ؟ هل تحصل عليها من الصحف اليومية ؟ أو من الراديو أو التليفزيون أو المجلات أو . . . ؟

وإذا كانت هناك تقارير مختلفة ومتناقضة مع بعضها لنفس القصة الإخبارية ، فأي الروايات تصدق ؟ تلك التي تأتيك من الراديو أم التليفزيون أم المجلات أم الصحف اليومية ؟

وكانت الإجابات مختلفة ومتنوعة ، لكن ما يريده الجمهور من الصحافة ـ مثلاً ـ أن تقدم تقريراً شاملاً وحقيقياً لأحداث اليوم ، وأن تكون ساحة لتبادل النقد البناء ، والتعليق على الأحداث الهامة ، وإتاحة الفرص المتكافئة للمواطنين للاطلاع على المعلومات الكاملة .

وأما أهم الانتقادات الموجهة إلى الصحافة من قبل الجماهير فهي :

إن الصحافة تهتم بالترويج والتسلية أكثر من اهتمامها بالأخبار : وقد أجرى بعض الباحثين دراسة مستفيضة على الصحف الأمريكية فتبين أن ٨٠٪ من مساحة الصحف مخصصة لغير الأخبار ، وأن متوسط كمية الأخبار العالمية والتي تمس مستقبل الولايات المتحدة بدرجة خطيرة أثناء الأزمات الدولية لا تتعدى ٤٪ من المساحة المخصصة للإعلانات ! !

وقالوا : إن الصحافة تهتم بالحرية الصحفية أكثر من اهتمامها بالمسؤولية الصحفية !

وقالوا : إن الصحافة لا تفسر الحقائق إذا قدمتها بصورة موضوعية ،

لذلك فقدت الصحافة كثيراً من نفوذها في قيادة الرأي العام ، وبالتالي فالصحافة أصبحت مؤسسة صناعية وتجارية أكثر منها صاحبة رسالة ! !

أجل :

فما أخطر مسألة الاتصال بالجماهير ، وذلك لحساسية المسألة ومدى تأثيرها على الجميع ، لذلك يجب دراسة جمهور الأطفال : من حيث إنهم الجمهور المقلد المتفاعل مع الصوت والصورة ، لذلك تبين الأبحاث والدراسات أن أغلب الأطفال يميلون إلى أن يقبلوا بدون أي تساؤل جميع المعلومات التي تظهر في الأفلام وتبدو واقعية ، وهم يتذكرون تلك المواد بشكل أفضل .

لذلك يجب التدقيق على فكرة مراقبة ما يطلق عليه (برامج الأطفال) : هل تناسب ثقافتنا وتراثنا وقيمنا ؟ هل كل ما نستورده من أفلام وبرامج للأطفال خالية من الدسّ ونحو ذلك ؟

وإلا ما الفائدة المرجوَّة من وراء عرض أفلام خيالية غير واقعية بحيث يظهر البطل فيها على أنه قوة خارقة لا تُقهر يتصرف بالكون دون حدود ولا ضوابط ؟!

ويتلقى الأطفال ذلك ويتأثرون فيه حتى إن أكثرهم يحاول تقليد ذلك!

ويجب دراسة جمهور المراهقين والشباب بدقة فائقة وعناية شديدة ، وذلك لأن أخطر مراحل الحياة هي مرحلة المراهقة ، حيث الخيال الواسع والأحلام الوردية ، والنظر إلى المستقبل الواعد ، لكن المراهق يعاني من اضطرابات نفسية ناتجة عن المحيط الخارجي من مثيرات ونحو ذلك .

لذلك ترى المراهق يبدأ في تقليد سلوك الآخرين ، خاصة المشهورين .

من هنا فعلى القائمين على وسائل الإعلام وأجهزة التعليم والتربية

ـ وعلى جميع الأصعدة ـ أن يبرمجوا لوضع برامج هادفة واعية تناسب تلكم الفترة .

وهكذا في مرحلة الشباب حيث يبدأ الواحد منهم يتخلى رويداً رويداً عن أهله ، ليتآلف مع أقرانه : في المدرسة أو النادي أو الشارع أو . . . لذلك يجب التركيز على مسألة توجيه الشباب نحو الأمور التكنولوجية الحديثة ، من خلال ربطهم بأجهزة الكومبيوتر ونحو ذلك ، وذلك بهدف البُعد عن الفراغ . . .

ونفس الكلام يُقال عن جمهور النساء : وذلك من خلال الاهتمام بالبرامج التي تتحدث عن الأطفال وتربيتهم ، وعن مشاكل الأسر ، وعن الاقتصاد المنزلي ، وعن المرأة وعلاقتها مع زوجها ، ومن ثم علاقتها بأولادها . . .

فهل تقوم وسائل الإعلام بذلك ، أم أنها تركز على دعايات التنظيف والمنظفات والعلكة والجوارب ؟!

أجل !

فعلى وسائل الإعلام أن تكون مرتبطةً بحياة المتلقي : تتفاعل مع مشاكله ، وتتجاوب مع متطلباته ، وتقدّم له الحلول المناسبة .

وأن تكون قادرةً على كسب ثقته : ليطمئن إليها ويصدقها ، وإلا كانت بالنسبة إليه لا تعدو كونها أداة تسلية فقط .

وألا تكون متناقضة فيما بين بعضها البعض ، ليكون لها هدف واحد ومطلب واضح ، وهذه الأمور مطالب إسلامية ملحّة ، بل هي أهم خصائص الإعلام الإسلامي .

فالمضمون والمحتوى يجب أن يكون صادقاً ، والغاية والمقصد يجب أن يكون شريفاً ، والوسيلة والواسطة يجب أن تكون سليمةً ، وعلى

الإعلام أن يكون قوي الرصد قوي التوجيه قوي المتابعة . .

أما أن يكون الإعلام ـ وخاصة الدعايات ـ في وادٍ والأمور التربوية والأخلاقية والدينية في وادٍ آخر ، فهذا الذي لا يوصل إلى نتيجة مرضية أبداً .

صحيح أن للإعلان أهمية اقتصادية ، وصحيح أن له دوراً كبيراً في مسألة الرأي العام من خلال ترشيد الاستهلاك أو تبديد الدخل وما إلى هنالك . . .

لكن يجب أن يكون للدعاية والإعلانات قواعد وحدود وضوابط ، وما أكثر الدعايات والإعلانات في هذه الأيام!

فهناك دعايات تجارية : تعتمد على التكرار والمثيرات واللعب ونحو ذلك . . .

وهناك دعايات سياسية : تركز على استمالة المتلقي لإقناعه بأفكار جماعة أو . . .

وهناك دعاية مكشوفة واضحة ، وهناك دعاية مقنعة سوداء . . .

وتعتمد الدعايات على عدة أساليب فنية : كالتكرار ، والمبالغة ، والتقمّص والتماثل ، والاستشهاد بالمصادر الموثوق بها ، والارتباط الكاذب ، والإفادة من ظاهرة غريزة القطيع (الإجماع) ، والبساطة والقابلية للتصديق . . .

أما الإسلام فإنه لا يرفض الإعلانات والدعايات ، إنما يريد لذلك أن يكون منضبطاً بقواعد التربية والأخلاق ، بحيث لا يكون في الدعاية قطع شجرة ـ مثلاً ـ من أجل لفت الأنظار إلى علكة كذا!!

ولا كشف العورات من أجل صناعة صابونة!!

إنما لا بأس من الدعايات والإعلانات على شرط أن تكون حقيقية وقريبة من الواقع ، بعيدة عن التهويل والخيال الجامع . . . ، ومتناسقة مع الخط الإسلامي العام ، لا أن تكون مناقضة له .

وهذه مهمة كل مسلم ، خاصةً الذين يتصدرون المجالات الإعلامية ، من خطيب المسجد إلى مدرسّ الجامعة والمدرسة ، إلى الإذاعي والصحفي ، إلى القائمين على كل وسائل الإعلام ، وإذا لم يتكاتف الجميع على طرد الإعلام الرخيص المزيف ، ليحل محله الإعلام التربوي ، فالمصيبة لاحقة بالجميع ، والسيل الجرار لن يستثني أحداً أبداً ! ![1] .

* * *

(١) للتوسع يراجع : الاتصال بالجماهير للدكتور أحمد بدر ، والأسس العلمية لنظريات الإعلام للدكتورة جيهان رشتي .

الفصل الثالث

تأثير وسائل الإعلام ودورها

بعد دراسات مستفيضة توصل العالم (مارشال ماكلوهن) إلى نتائج قيمّة ، منها : أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله .

وأي وسيلة جديدة ، أو امتداد للإنسان ، تشكّل ظروفاً جديدة محيطة تسيطر على ما يفعله الأفراد الذين يعيشون في ظل هذه الظروف ، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون ويعملون وفقاً لها (الوسيلة امتداد للإنسان ، فالملابس والمساكن امتداد لجهازنا العصبي المركزي ، وكاميرا التليفزيون تمد أعيننا ، والميكروفون يمد آذاننا ، والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فقط ، فهي مساوية لامتداد الوعي) .

وسائل الإعلام الجديدة ـ كامتداد لحواسنا ـ كما توفر زمنا وإمكانيات تشكل أيضاً تهديداً في نفس الوقت ، لأنه في الوقت الذي تمتد فيه يد الإنسان وما يمكن أن يصل إليه بحواسه في وجوده ، تستطيع تلك الوسائل أيضاً أن تجعل يد المجتمع تصل إليه لكي تستغله وتسيطر عليه .

ولكي نمنع احتمال التهديد يؤكد ماكلوهن أهمية إحاطة الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الإعلام ، لأنه (بمعرفة كيف تشكل

التكنولوجيا البيئة المحيطة بنا ، نستطيع أن نسيطر عليها ونتغلب تماماً على نفوذها أو قدرتها الحتمية) .

ويعرض ماكلوهن أربع مراحل تعكس في رأيه التاريخ الإنساني :

١ـ **المرحلة الشفوية كلية** : مرحلة ما قبل التعلم ، أي المرحلة القبلية .

٢ـ **مرحلة كتابة النسخ** : والتي ظهرت بعد هومر في اليونان القديمة ، واستمرت ألفي عام .

٣ـ **عصر الطباعة** : من سنة ١٥٠٠ م إلى سنة ١٩٠٠ م تقريباً .

٤ـ **عصر وسائل الإعلام الالكترونية** : من سنة ١٩٠٠ تقريباً ، إلى الوقت الحالي .

وطبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل .

. . . وهكذا ففكرة (ماكلوهن) الرئيسية تقوم على أن وسائل الإعلام لا تنقل فقط معلومات ، ولكنها تقول لنا ما هو نوع العالم الموجود ، وهذا لا يجعل حواسنا تثار وتتمتع فقط ، ولكنها تعدل نسبة استخدامنا للحواس وتغير في الواقع شخصيتنا .

لذلك تراه يقول : (الوسيلة الإعلامية تقوم بتدليك الحواس)[١] .

ومن هنا برزت أهمية دراسة تأثير وسائل الإعلام .

ـ وكالعادة ـ انقسم الدارسون إلى قسمين يحملان أفكاراً متناقضة :

---

(١) باختصار وتصرف من : الأسس العلمية لنظريات وسائل الإعلام ، للدكتورة جيهان روتشي : ٣٧٥ـ٣٧٧ .

فالفريق الأول : رأى أن لوسائل الإعلام تأثيراً كبيراً ، فهي التي تلعب دوراً فعالاً في الحياة الاجتماعية ، وهي التي تؤثر على الاتجاهات والأفكار والسلوك ، بل إنها تجعل الأفراد يتصرفون وفق الأسلوب الذي تريده وسائل الإعلام ، كذلك فهي قادرة على زيادة معلومات الجماهير وحفزهم على ممارسة الديمقراطية والحرية ونحو ذلك. . . ، وهذا ما دفع المتحمسين لهذه الفكرة إلى القول أن سبب هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى قوة دعاية وإعلام الحلفاء!

وأن الإعلانات في وسائل الإعلام الأمريكية أصبحت عاملاً أساسياً في تشكيل أسلوب الحياة الأمريكية!

والفريق الثاني : اعتبر أن وسائل الإعلام ليست إلا أداة قد تستغل في تحقيق الأهداف الشريرة ، ولذلك حذروا منها ومن تأثيراتها ، وطالبوا بعدم تضخيم تأثيرها على المجتمعات. . . ، واستدل القائلون بهذا الرأي على ما جرى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تبين بالوقائع العملية أن الصحافة ـ مثلاً ـ لا تمثل رأي الغالبية ، لذلك فاز الرئيس روزفلت بالرغم من وقوف الصحافة ضده وبقوة .

وفي هذا الصدد تقول الدكتورة جيهان رتشي :

. . . وباختصار ، فإن الاتصال بواسطة الرمز الهام يوفر للناس المعلومات الضرورية لتعريف عالمهم وأنفسهم داخل ذلك العالم ، فالنتيجة الأساسية والشاملة للاتصال البشري إذن هي خلق الظرف البشري نفسه .

ولوسائل الإعلام الجماهيرية دور كبير في الطريقة التي نبني أو نشيد بمقتضاها تصوّرنا للعالم خلال فترة طويلة ، والطريقة التي ننظم بها جوانب جديدة للتصور ، ونكوّن بها آراء ومعتقدات جديدة ، ذكرنا من

قبل أننا قد لاحظنا أن الواقع البشري فريد في أن نسبة كبيرة من المعلومات قد لا يمكن أن يستوعبها بعض الأفراد أو يقبلونها ، ونستطيع أن نذهب خطوة أبعد من ذلك فنقول : إن إنسان القرن العشرين فريد في أنه يتوصل إلى قدرٍ كبير من تصوره للواقع من المعلومات التي يتم نقلها إليه عن طريق وسائل الإعلام .

وبالرغم من أننا لن نضع أقدامنا على سطح القمر ، أو نشترك في حرب في أفريقيا ، أو نتعرض لعملية زرع قلب ، إلا أن وسائل الإعلام وفرت لنا المعلومات عن كل حدث من تلك الأحداث المحيطة وأصبحنا بهذا نستجيب عليها ، ولا شك أن هناك قدراً كبيراً من الحقيقة في مفهوم ماكلوهن عن وسائل الإعلام (كامتداد) لأعضاء الحس عند الإنسان ، فبفضل وسائل الإعلام أصبح البقال في المدينة الصغيرة لا يستجيب فقط وفقاً لرغبات زبائنه أو لأسعار منافسه المباشر ، بل أصبح يخطط سلوكه أيضاً على أساس معرفته باحتمال حدوث قحط في الولايات المتحدة أو إضراب عمال الموانىء في دولة أوروبية ، وتصوّر الفتاة التي تعيش في (طنطا) للموضة لا يقوم فقط على أساس ما تراه فعلاً أو ما ترتديه زميلاتها في المدرسة أو ما تجده معروضاً في محلات مدينتها ، ولكنه يقوم أيضاً على أساس ما تقوله الوسائل الإعلامية لها عن صالونات الموضة في باريس ، ومحلات لندن أو القاهرة!!

وتشير الباحثة (البرتاسيجل) إلى نموذج ممتاز وجده مخبر صحفي قام بتغطية أخبار انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨م في المناطق القروية من ولاية (أيوا) .

فقد وجد المخبر أن المزارعين كانوا أقل اهتماماً بالموضوعات

السياسية التي تؤثر بشكل مباشر على الجماعات المحلية وأكثر اهتماماً بالموضوعات التي تملأ وسائل الإعلام الجماهيرية ، فقد طغت موضوعات المدينة على مشاكل المزارع نفسه ، فالفلاح الذي يعيش في عزلة قروية ، أصبح بفضل الرسائل التي تتكرر في وسائل الإعلام الحديثة يتحدث عن الجرائم التي تملأ شوارع المدن والمظاهرات التي يقوم بها طلبة الجامعات ، وأخبار الحرب في فيتنام التي تملأ عقول الفلاحين وليست تصوراتهم عن المشاكل المحلية .

بمعنى آخر ، نظراً لأن وسائل الإعلام تستطيع أن تقدم ، بل وتقدم فعلاً قدراً كبيراً من المعلومات عن العالم وعن أمور لا نستطيع أن نجربها بشكل مباشر ، تصبح هذه الوسائل مناسبة أكثر للتأثير لأنها تضيف شيئاً لتصورنا للواقع وتؤثر بقوة على الطريقة التي نبني بها جوانب من الظروف المحيطة التي ليس لدينا فرصة كبيرة في الحصول على معلومات من الدرجة الأولى عنها ، فمن النتائج الأساسية لمقدرة وسائل الإعلام على نقل رسائل بسرعة ، عبر مساحات كبيرة ، وقيام تلك الوسائل بتوفير معلومات ماكنا لنحصل عليها لو لم توجد تلك الوسائل ، إننا أصبحنا نتوقع أن توالي تلك الرسائل تزودنا بمعلومات عن الأجزاء البعيدة في الظروف المحيطة ، وأن توفر لنا معلومات عن العالم أكبر .

إذن :

يمكن التفصيل في قضية تأثير وسائل الإعلام ودورها في عدد من الفقرات ، أهمها :

* * *

المبحث الأول

دور وسائل الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام!!

عاش الفيلسوف الفرنسي (روجيه جارودي) غالبية حياته في الأوساط الثقافية والسياسية ، وفي الفترة الأخيرة اطَّلع على الإسلام ، فاعترف أن هناك فرقاً كبيراً بين الفكرين ، وانقلب الرجل رأساً على عقب ، وراح يُدلي بتصريحات وآراء حول الحضارة الغربية وما تعانيه ، وعن الدين الحنيف وما فيه من أمورٍ مرسومة لإسعاد بني البشر ، ومن قوله في ذلك :

(لقد انتحرت الحضارة الغربية ، والسبب الرئيسي لهذا التخاذل الانتحاري أنه خلال القرون الخمسة المنصرمة لم تعد الحضارة الغربية إلحادية فحسب ، بل أصبحت تتصف بالشرك ، فالنمو والجنس والعنف والمال والقومية غدت غاياتها في ذاتها ، وبتعبير آخر أصبحت آلهة مزيفة لهذه الحضارة . . .) .

ثم جاء الأمير (تشارلز) ولي عهد بريطانيا فتحدث عن فضل الحضارة الإسلامية على الغرب ، وذلك في كلمته التي ألقاها في جامعة أكسفورد في عام ١٩٩٣م ، ومما جاء فيها :

(إذا كان الغرب يسيء فهم طبيعة الإسلام فلا يزال هناك جهل كبير حول ما تدين به حضارتنا وثقافتنا للعالم الإسلامي ، إنه نقص نعانيه من دروس التاريخ الضيق الأفق الذي ورثناه ، فالعالم الإسلامي في القرون الوسطىٰ من آسيا الوسطى إلى شاطىء الأطلسي كان يعجُّ بالعلماء ورجال العلم ولكن بما أننا رأينا في الإسلام عدواً للغرب وكثقافة غريبة بنظام حياتها ومجتمعها ، فقد تجاهلنا تأثيره الكبير على تاريخنا .

فلنأخذ ـ مثلاً ـ كيفية تقليلنا من أهمية ٨٠٠ سنة من التراث الإسلامي في إسبانيا بين القرنين ٨ـ١٥ ، فلا مفرَّ من الاعتراف بمساهمة إسبانيا المسلمة في الحفاظ على الدراسات الكلاسيكية في العصور المظلمة والانطلاقات الأولية لعصر النهضة ، ولكن إسبانيا المسلمة كانت أكثر من مخزن للحضارة الإغريقية التي التهمها العالم الغربي المعاصر إذ لم تقتصر إسبانيا المسلمة على جمع وحفظ المحتوى الثقافي للمدنيتين الأغريقية والرومانية فحسب ، ولكنها قامت بتفسيرهما والتوسع فيهما وأسهمت من ناحيتها في الجهد البشري في عدة قطاعات في العلوم والفلك والرياضيات والجبر « وهي كلمة عربية بحدِّ ذاتها » والقانون والتاريخ والطب وعلم المستحضرات الطبية والبصرية والزراعة والهندسة المعمارية والدين والموسيقى . . .

لقد رعى الإسلام وحافظ على السعي وراء العلم والمعرفة . . . وفي القرن العاشر كانت قرطبة أكثر مدن أوربا حضارةً .

. . . ثم يقول : وكثيرة هي السمات واللمسات التي تعتز بها أوربا الحالية التي هي فعلاً مقتبسة من إسبانيا المسلمة : الدبلوماسية والتجارة الحرة والحدود المفتوحة وأساليب البحث الأكاديمية في علم أصل الإنسان ، والأتيكيت والأزياء والأدوية البديلة والمستشفيات ، فكل هذه وصلتنا من هذه المدنية العظيمة ، وكان الإسلام في القرون الوسطى معروفاً بالحلم والتسامح عندما كان يسمح لليهود والمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية ، واضعاً ذلك مثالاً ، لم يتعلمه الغرب لسوء الحظ لعدة قرون .

إن الأمر العجب هو وجود الإسلام في أوربا كجزء منها منذ أمدٍ طويل ، أولاً في إسبانيا ثم في البلقان ، وكذلك مساهمته في حضارتنا التي كثيراً ما نعتقد خطأً بأنها حضارة غربية كلياً .

إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في ميادين الجهد البشري ، لقد ساعد الإسلام على تكوين أوربا المعاصرة فهو جزء من تراثنا ، وليس شيئاً مستقلاً بعيداً عنا)[1] .

وهكذا خرج بعض مفكري الغرب وعلمائه فدرسوا الإسلام واكتشفوا أهم معطياته الحضارية ، من ذلك العالم الدانمركي (جوستان جرونيباوم) ، فقد قال : (. . . في ظل هذه القيم الأساسية يطرح الإسلام أسئلة جوهرية ثلاثة ويقدم إجابته عليها ، وهي :

كيف تعيش حياة صحيحة ؟

وكيف تفكر تفكيراً صحيحاً ؟

وكيف تقيم نظاماً صحيحاً ؟

. . . ولقد قدم الإسلام أجوبة على هذه الأسئلة في التربية الصحيحة للفرد ، والترتيب النسبي لمناشط الإنسان ، وتحديد القصد والمجال بالنسبة لسلطة الحكم أو ممارسة القوة السياسية ، وكذلك تبنّى الإسلام نظاماً للقيم يتناول الواجبات والحقوق في شتى مجالات السلوك الإنساني ، سواء السلوك الفردي أو السلوك الاجتماعي وعلاقات الفرد بقرابته أو بالجماعة كلها ، وقد أدى ذلك إلى تقويم أية خبرات حضارية سابقة أو لاحقة في هذا الضوء بحيث تكون متجاوبة مع معايير الإسلام ، ومقاصده)[2] .

وهكذا يتجاوب الإسلام مع كل متطلبات الإنسان ، فهو ينظر إليه نظرة احترام وتقدير وتكريم ، قال الله تعالى :

---

(١) نشرة جريدة الشرق الأوسط في عددها (٥٤٥٨) ٧ نوفمبر عام ١٩٩٣ النص الكامل لكلمة ولي عهد بريطانيا .

(٢) للتوسع يراجع : القيم الحضارية في الإسلام . محمد فتحي عثمان : ٤٣ـ٤٧ .

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وهو يعتبره حراً في اعتقاده : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وهو الذي يرفع لواء التسامح والتعايش السلمي بين الأفراد والأمم ، حتى مع الكفرة والمشركين والملاحدة ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

لذلك استفاد المسلمون من جميع الشعوب وأفادوا ، حيث ترجموا العلوم وغربلوها ومن ثم نقلوا إلى الناس المفيد والنافع منها .

فهل قام الغرب بمكافأة المسلمين ؟ أم أنه انقلب رأساً على عقب ، وكان من الجاحدين ؟!

ـ ممايؤسف له ـ أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تعرّض لحملات إعلامية مشوهة ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

هذا الدين الذي قدّم لأوربا المناهج والوسائل والعلوم ، وهو الذي حافظ على كل الحضارات القديمة ، ونقلها بأمانة لا مثيل لها ، فاستفاد منها الغرب ، وتعامل مع الغربيين والمشركين وأهل الكتاب كألطف وأحسن ما تكون المعاملة هو ذاته الذي أُسيءَ إليه في كل مكان هناك ، ورسمت وسائل الإعلام صورة مشوهة له و . . . !!

وبدأت تلكم الحملات التجريحية والتشويهية منذ الحروب الصليبية ، فعلى حدِّ تعبير محمد أسد رحمه الله وهو يتحدث عن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية : (. . . ولم يقتصر على اصطدام استعملت فيه

الأسلحة بل كان أولاً وقبل كل شيء أذى عقلياً نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم .

والمثل العليا الإسلامية تفسيراً خاطئاً متعمداً ، لأنه إذا كان للدعوة إلى حملة صليبية أن تحتفظ بصحتها فقد كان الواجب والضروري أن يوسم نبي المسلمين بعدو المسيح ، وأن يصوّر دينه بأكلح العبارات كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق ، وفي أيام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الأوربي وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة أن الإسلام إنما كان يدعو إلى عبادة الشهوة وإلى القوة الوحشية!!)[1] .

ثم كانت حركة الاستشراق ، حيث جُنّد لهذا الغرض أناس تفرَّغوا لدراسة لغات الشرق وأديانه والحياة الاجتماعية و. . . .

ولم تكن الحركة الاستشراقية أقل حقداً وتحيزاً من مثيلتها من الحركة الصليبية ، بل لعلها أخبث وأكثر تأثيراً ، حيث استطاعت تشويه حقائق الإسلام ، حتى جعلت المواطن الغربي يكّون صورة سيئة عن الدين الإسلامي ، فهو دين الجهل والتخلف ، وهو الذي يدعو إلى البدائية والأمّية ، وهو الذي يحارب الثقافة والعلم ويدعو إلى مزيدٍ من الشعوذة والسحر والغيبيات وهو. . . ، حتى إن بعض المستشرقين أعلن ذلك بشكل صريح :

كالمستشرق الفرنسي (فولني) قال : إن الله جعل محمداً وزيره في الأرض ، وأعطاه العالم ليخضع بالسيف كل من يرفض الاقتناع بقانونه ، وبالتالي فهو لا يعظ إلا بالقتل والمذابح!![2] .

---

(١) للتوسع يراجع : الطريق إلى الإسلام : ٣٢ـ٣٣ .

(٢) للتوسع في ذلك يراجع : أوروبا والإسلام ، هشام جعيط : ٣٤ـ٣٧ .

وكالمستشرق (سيمون أوكلي) والذي وصف رسول الله ﷺ وصفاً يدل على الحقد والتعصب ، فقال : إنه رجل خبيث جداً وماكر ، وأن ما يُبديه من شمائل طيبة كانت مجرد أمر ظاهري يخفي وراءه حقيقة نفسه التي كان يحكمها الطموح والطمع ! ![1] .

ثم كانت الصورة المعاصرة التي يصوغها الإعلاميون والسياسيون عن الإسلام .

وهي لا تقل حقداً وتجريحاً وتشويهاً بالإسلام عن مثيلاتها : حركة الاستشراق والحركة الصليبية .

بل إن وسائل الإعلام الغربية المعاصرة تمكنت من النجاح في هذه المهمة القذرة ، وذلك عن طريق سرعة انتشارها وتطورها وتحكمها العالمي .

وهنا يكمن الدور الخطير الذي يقوم بها الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام .

وقد قام (جاك شاهين) بدراسة مئات الكتب ، ومتابعة الأفلام والمسرحيات و... الأمريكية ، ولاحق مدى تأثيرها على المواطن الغربي . والدور الخطير الذي تقوم به في رسم صورة مشوهة للإسلام . ثم أعطى ملخصاً لما توصل إليه ، فقال :

(دلَّت أبحاثي على أن كلمتي « عربي » و « مسلم » تثيران ردود فعل عدائية يصعب معها على الجمهور أن يميز الحقيقة من الخيال ، وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة ذلك إلى هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض الـ ٢٧٠ مليون عربي ، كما قد يكون الإسلام ، الذي يعتنقه

---

(١) للتوسع يراجع : الاستشراق ، الدكتور محمود زقزوق : ٤٥ـ٤٦ .

ما يزيد على بليون إنسان بينهم ٦ـ٨ ملايين أمريكي ، أكثر الأديان معاناة من جهل الآخرين بحقيقته) .

ويشير (شاهين) إلى أن (هوليود) وهي مدينة السينما الأمريكية قدَّمت منذ حرب الخليج ما يزيد على ٤٠ فيماً ، منها (لعبة القتل) و (نينجا الأمريكي والإبادة) و (في الشمس) و(الدرع البشري) و. . . .

وغالت هذه الأفلام كلها في تشويه سمعة العرب ، إذ عرضت شريطاً لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم ، ويمثلون في الوقت ذاته خطراً رهيباً يتهدد الآخرين ، ولم تروح مشاهدها الوهاجة المتكررة عن أنفس الجمهور ببراءة ، بل وجهته إلى كراهية هذا ومحبة ذاك ! !(١) .

وهكذا تنطلق على شاشات وسائل الإعلام الغربي صيحات التحذير من زحف الإسلام الهمجي ، ومن منافسته الرهيبة لكل ماله علاقة بالتقدم والحضارة والرقي ، ليرتسم في صورة الغربي الصورة القاتمة عن الإسلام الحنيف ، ولعلَّ السبب الرئيسي لهذا العداء المصطنع يعود إلى مسألة تاريخية. . . ، لذلك لما دخل الجنرال (اللنبي) مدينة دمشق عام ١٩١٨ توجه إلى قبر القائد صلاح الدين الأيوبي ، ثم وقف عليه وركله بقدمه ، ثم قال : ها نحن عدنا يا صلاح الدين ! !

إضافة إلى الأطماع السياسية والاقتصادية ، خاصة أن الدول الإسلامية وخاصة العربية تمتلك المناخ الملائم والسياحة والموقع الجغرافي و. . البترول والثروات المائية وغيرها. . .

لذلك فإن على العرب والمسلمين قاطبة ـ وكلٌّ حسب مواهبه

---

(١) حرب الخليج ، منشور في جريدة الحياة ، عدد (١٠٩٨٩) ١٤/٣/١٩٩٣ .

ومقدراته وموقعه ـ أن يتحرك في سبيل مواجهة هذه الحملة الشرسة التي تتعرض لها صورة الإسلام المشرقة : من تشويه وتجريح وبنحو ذلك .

وخاصة من له علاقة بالإعلام ، ليكون الإعلام الإسلامي هو الحامل لفكرة صناعة الصورة البديلة ، وذلك من خلال التأكيد على إبراز الصورة الناصعة للإسلام ، من خلال الرجوع إلى القرآن والسنة ، والتأكيد على فكرة ما يقوم به بعض الأفراد من تفجيرات أو اغتيالات أو . . . ، أو ما تقوم به بعض الجماعات الإسلامية ـ كحركة طالبان الأفغانية ـ من منع المرأة من العمل والتعلم و . . . هذا ليس من الإسلام ، إنما الإسلام هو ما كان عليه الرعيل الأول من هذه الأمة . . .

والأمل في الشباب الواعي المتنوِّر . . . والذي يقرأ قوله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل : ٢٦] .

المبحث الثاني

دور وسائل الإعلام الإسلامي في نشر الدعوة إلى الله تعالى

هناك آيات قرآنية صريحة بأن هذا الدين الحنيف عالمي ، فلا هو يختص بالعرب ولا بالمسلمين ، بل بكل العالمين ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى وهو يخاطب النبيَّ الخاتم ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وعندما فهم الرعيل الأول هذه الخاصية للدين ، انطلقوا من الجزيرة العربية يحملون لواء الدعوة إلى الله لكل أصقاع المعمورة .

لكن الذي اعترض مسيرتهم الدعوية طغاة ذلك الزمان ، والمتمثلين بكسرى وقيصر ورستم و . . . ، وشهروا في وجوههم الأسلحة ، وصمد

المسلمون صموداً لا مثيل له ، ولم يكن هدفهم من ذلك الحرب لذات الحرب ، ولا ـ كما يدعي بعض المستشرقين و. . . ـ الغنائم ولا مناظر الدماء والقتل ، إنما كان الهدف : دعونانوصل رسالتنا إلى الشعوب ، ثم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وبالفعل استطاع المسلمون الأوائل الوصول إلى الصين والهند وإسبانيا ومشارق باريس ، وأصبحت لهم دولة لا تغيب عنها الشمس .

لكن دار الزمن دورته وابتعد المسلمون عن دينهم الحنيف. . . وكان ما كان .

بدأت مقاطعات من جسد الأمة تسقط هنا وهناك. . وانحسر المدُّ الإسلامي وتخلَّف المسلمون عن ركب الحضارة حتى أصبحوا في آخر الركب!!

ووصلنا إلى هذا العصر ، فهل نقول : إنه لا سبيل إلى نشر الدعوة إلا بالأسلوب نفسه الذي سار عليه الأقدمون ؟!

وهل نعود لنحمل السيف ونركب الفرس ؟

أبداً ، فمن الخصائص العامة للإسلام المرونة والتطور ، عرف ذلك من عرف وجهله من جهل ، وقد أصبح من الأمور المؤكدة أن أهم وسيلة لنشر أي دعوة من الدعوات هي وسائل الإعلام .

فعن طريق إذاعة هادفة مسلمة نستطيع بثّ آيات من القرآن مع تفسيراتها ، وأحاديث نبوية وما يُستفاد منها ، والأحكام الفقهية المتعلقة بالفرد والجماعة و. . . .

وهذا لا يكلف تضحيات بالأنفس ، ولا أسلحة متطورة ولا . . . ، إنما يتطلب شراء آلات البث ، مع كادر متدرب ناجح .

وعن طريق امتلاك محطة ـ أو محطات ـ فضائية نستطيع إدخال الدعوة إلى الله إلى كل بيت ـ مسلم وغير مسلم ـ وبالتالي فإذا تطور الأمر فعلينا امتلاك قنوات تخاطب الآخرين بلغاتهم ، ولعل هذا أنجح أسلوب معاصر من أساليب الدعوة إلى الله .

فعن طريق هذا الأسلوب نستطيع تبليغ الدعوة إلى الأمريكان ـ مثلاً ـ وإلا فكيف يمكن الوصول إلى الشعب الأمريكي لإبلاغه دعوة الإسلام ؟

هل ننتظر حتى تضعف أمريكا وتتمزق ، ونقوى نحن ونتحد ؟

هل ننتظر المهدي ليُقيم دولة العدل في الأرض ؟! . .

وهذه مهمة الأغنياء ـ وما أكثرهم في بلادنا العربية والإسلامية ـ ومهمة الإعلاميين ، ومهمة المفكرين . . .

وإلا ، فأيهما أفضل : ذهاب مسلم إلى الحج (١٧) مرة ، ودفع الآلاف كل عام ، مع عدد كبير من (العمرات) ، أو إشادة مآذن عالية ، أو تشييد مساجد وزخرفتها زخرفة ما أنزل الله بها من سلطان ، أو ما إلى هنالك .

أم امتلاك محطات تلفزيونية وإذاعية لنشر الدعوة إلى الله تعالى ؟!

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٩] .

لكن : أين . . . أين المسلمون ؟ !

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماءُ فوق ظهورها محمولُ!!

المبحث الثالث

دور وسائل الإعلام في التغيير الاجتماعي.. والتنمية

يرى بعض الباحثين أن وسائل الإعلام لا علاقة لها بالتنمية والتغيير الاجتماعي إلا في مجالات ضيقة جداً ، معتبرين أن العوامل الاقتصادية هي العوامل الهامة والحقيقية في عملية التنمية ، وأما التنمية والتقدم الثقافي والتعليم والاستقرار السياسي ونحو ذلك فلا علاقة لوسائل الإعلام بها .

بل هناك من ذهب إلى أبعد من هذا ، فاتهم وسائل الإعلام بأنها تأخذ وقت الجماهير في أمور تافهة غير مهمة ، وذلك من خلال الإثارات والدعايات و . . . وبهذا فهي تعطل البرامج التنموية .

وفي الطرف المقابل هناك رأي معاكس تماماً ، يركز على الدور الحاسم والبنَّاء لوسائل الإعلام في تحقيق الرفاه والسلام والتقدم ، ويستدلون على ذلك الدور بعدة أمثلة من الواقع ، منها أن المذياع يعتبر من أهم مصادر المعلومات عند الفلاحين الأمريكيين ، حيث بينت تجربة ميدانية قام بها العالم (سبكتر) أن للراديو تأثيراً كبيراً في الممارسات الصحية والعادات ، بل وحتى في القضايا ذات العلاقة بقرار الإنسان .

لكن المتحمسين لهذا الاتجاه يرون ضرورة ربط وسائل الإعلام بهيئة متطورة تقوم بدور التأثير التوجيهي للآخرين ، وذلك بهدف تحقيق التنمية والتغيير الاجتماعي .

وهناك رأي ثالث يُطلق عليه الاتجاه الحذر لتأثير وسائل الإعلام على عملية التنمية والتغيير الاجتماعي ، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن

الرسالة الاتصالية لا تؤثر بشكل مباشر على الجماهير ، إنما لا بد أن تسير في مرحلتين هما :

أولاً : من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي .

وثانياً : من قادة الرأي إلى الجماهير .

أي أن تصل الرسالة الإعلامية بشكل غير مباشر إلى الجماهير ، لكن عن طريق أصحاب القرار وقادة الرأي .

لكن يمكن التأكيد على مسألة الزمان والمكان ، فلا نستطيع أن نقول إن وسائل الإعلام لها الدور نفسه في أمريكا وإفريقيا ـ مثلاً ـ .

فهناك أكثر من ثلاث عشرة دولة إفريقية لا توجد فيها صحافة يومية على الإطلاق!!

أما في الدول الأمريكية فحدِّث ولا حرج عن أعداد الصحافة و . . .

فكيف يكون لوسائل الإعلام دور في نقل مجتمع إفريقي ـ مثلاً ـ من حالة إلى حالة أو من مستوى إلى مستوى آخر ، وهو لا يملك أقل أنواع وسائل الإعلام ؟

ذلك لأننا نرى حقيقة بارزة للعيان وهي توحي بمدى دور وسائل الإعلام في تكوين المعرفة والوعي الاجتماعي ، مثال ذلك أن الأستاذ الجامعي له تأثير على عدد لا بأس به من طلابه ، وأما رجل الإعلام ـ كالصحفي مثلاً ـ فله دور أكبر من خلال تقديم خبر ما إلى ملايين المشاهدين أو المستعمين أو القرّاء ، ومن خلال ذلك يتكوّن الرأي العام ، سواءً كان ذلك متعلقاً بتكوين عادة أو النفور من أخرى أو اتخاذ موقف من قضية معينة ، وهكذا . .

وينقل الدكتور صقر قول العالم (توفلر) ويعلق عليه : (إن الثورة الإعلامية التي نعيشها اليوم هي التي تحدد مسار التطور البشري ، . .

ويورد معلومات ليؤكد وجهة نظره فيقول : إن الكتابة لم يعرفها سوى السبعين جيلاً الأخيرة من الأجيال الكثيرة جداً من الناس التي عاشت على الأرض ، كما أن الناس لم يعرفوا الكلمة المطبوعة إلا خلال الأجيال الستة الأخيرة ، والأجيال الأربعة الأخيرة فقط هي التي تعلمت قياس الزمن بدقة ، كما لم يستخدم الكهرباء سوى الجيلين الأخيرين من الناس ، والجيل الحالي وحده يستمتع بخدمات الإذاعة والتلفزيون على نطاق واسع ، وهكذا نكون أمام وضع خاص يتمتع فيه الجيل الحالي من البشر بحجم هائل من المعلومات تفوق كل ما كان لدى الأجيال السابقة ، فالناس لم تعد تجتمع في الساحة العامة كما كانوا يفعلون في أثينا وروما ليحصلوا على الأخبار والتعليمات ، بل إن الملايين تستطيع أن تتجمع كل لحظة حول أجهزة الإذاعة والتلفزيون وأعمدة الصحف لتعرف كل شيء في هذا العالم وبأدق التفاصيل ، لذلك عندما يُقال إن العالم أصبح قرية صغيرة ، فإن هذا القول ليس مبالغاً فيه ، مما يعني في الوقت نفسه أن كل إنسان معاصر لا يستطيع أن يعيش حياته المعاصرة دون وسائل اتصال .

وبذلك أضحى الإعلام كمثل الهواء والنور بالنسبة إلى بني البشر المعاصرين ، ومن هنا برزت الدعوات لإعطاء الناس كل الناس الحق في الحصول على المعلومات وصدرت الاتفاقيات الدولية القاضية بحرية تدفق المعلومات ، وأخذت منحىٰ أن الديمقراطية ليست في صناديق الاقتراع ، بل إن الديمقراطية هي في حرية وسائل الإعلام وممارسة للنقد من خلالها وإتاحة ذلك لشرائح المجتمع المختلفة)[1] .

ولا بدَّ من الالتفات إلى مسألة مهمة ، وهي أن الإنسان بطبيعته لا يرث ثقافته إنما يكتسبها من بيئته والآخرين الذين من حوله .

---

(١) الإعلام العربي : ٣٢ـ٣٣ .

لذلك يكون لوسائل الإعلام الدور التوجيهي لاكتساب المعارف والثقافة وما يحيط بالإنسان من مجريات الأمور ، فالتغيير الذي يحصل في أي مجتمع لا بدَّ أن يبدأ بعقول الأفراد ، فإذا كانت وسائل الإعلام موجهة نحو تحضير الأفراد لتلقي عمليات التغيير تلقِّيا مدروساً هادفاً ، فإن ذلك سيكون له تأثير كبير ، وإلا كان العكس تماماً . وكذلك في مسائل التنمية ، بحيث يكون لوسائل الإعلام الدور الكبير في تحضير الناس وتهيئتهم لتقبّل مسألة التخلص من التبعية الاقتصادية و. . . للأجنبي ويكون ذلك ببث ـ عن طريق وسائل الإعلام ـ قضايا الاعتماد على التخطيط السليم ، وتشجيع الإدخار ، والاستغلال الاقتصادي .

وبمعنى آخر : إن على وسائل الإعلام أن تلعب دوراً كبيراً في النهوض بمستوى الشعوب لا لتحقيق الأرباح فقط ، بل إلى كل جوانب التنمية الشاملة ، وخاصة في مراحل التخطيط للتنمية ، ثم في مراحل بدء تنفيذ الخطط ، ثم في مراحل المراقبة ومحاسبة المقصرين .

وما أحوج الدول النامية إلى عمليات التنمية ، لأن هناك فوارق كبيرة بين الدول النامية والدول المتقدمة ، فمن حيث توزيع الدخل ـ مثلاً ـ هناك تفاوت مخيف ، فمتوسط نصيب الفرد في دولة نامية لا يتعدى (٥٠) خمسين دولاراً ، بينما يصل نصيب الفرد في أمريكا إلى أكثر من (٢٠٠٠) ألفي دولار ، أي حوالي (٣٦) ضعفا!!

كذلك فإن : نصيب الفرد من الصحف في الدول المتقدمة يختلف اختلافاً بيِّنا عما هو عليه في الدول النامية ، فنصيب كل (١٠٠٠) شخص في اليابان (٤١٦) صحيفة ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية (٣١١) صحيفة .

بينما لا يزيد نصيبهم في دولة الباكستان عن (٥) صحف ، ولا يزيد في النيجر عن (٣ر٠) من الصحيفة!!

أجل!

فوسائل الإعلام لها دور كبير في العملية التنموية وفي التغييرات الاجتماعية ، وحتى في المجالات الأخرى .

ففي عام ١٩٩١م بلغت صادرات الولايات المتحدة من المواد الثقافية (مجلات وكتب وأفلام وبرامج تلفزيون و. . .) (٦٠) مليار دولار ، أي ما يقارب قيمة صادرات السلاح ، فماذا عن صادرات الدول النامية من المواد الثقافية ؟!!

* * *

الفصل الرابع

حُسن استخدام الأعداء لوسائل الإعلام!!

في قضية التأكيد على الدورالقوي والمؤثر لوسائل الإعلام ، لابد من التساؤل : لماذا نجحت وسائل الإعلام المعادية في دعم قضاياها وتحقيق أهدافها ؟

ويمكننا إذا توقفنا عند أنموذج إعلامي واحد لعدوٍّ لنا ـ كإسرائيل ـ أن نفهم من خلاله مدى نجاح وسائل الإعلام المعادية الأخرى والسر الكامن وراء ذلك كله .

عشية حرب حزيران ١٩٦٧ رفع أصحاب المحلات التجارية في مدن سويسرية عديدة يافطات كُتب عليها : سويسرة على الحياد ولكنها مع إسرائيل!!

وقبلها بسنوات عديدة ، نال طالب غير يهودي من المكسيك ١٩٤٦م شهادة دكتوراه تحت عنوان : لماذا يجب على كافة الدول المتمدنة الاعتراف بإسرائيل ؟!

إنه النجاح الباهر لوسائل الإعلام الإسرائيلية ، حيث التركيز على اضطهاد الآخرين لليهود ، وفي جميع أنحاء العالم ، وعلى أرض الميعاد ، وعلى تحقيق السلام لليهود والآخرين!!

وهكذا صرّح (بن غوريون) عام ١٩٦٠ : إن الطريق الأكثر ضماناً للوصول إلى السلام والتعاون مع جيراننا لا يكون بدعوة شعب إسرائيل

ووعظه بالسلام ، كما يفعل بعض محبِّي السلام من البسطاء ، ولكن عن طريق الحصول على أكبر عدد ممكن من الأصدقاء . . . ، الذين سيفهمون أهمية إسرائيل وقدرتها على المساعدة في تقدم الشعوب النامية ، والذين سينقلون ذلك إلى جيراننا .

وكانت البدايات اتباع أسلوب وسياسة كسب الأنصار ـ الحلفاء ـ وبدأت عمليات التنفيذ الإعلامية عن طريق استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل عن طريق الدعم اللا محدود لمن لا يرغب في تلك الهجرة .

وبالفعل استطاعوا تقديم دراسات مستفيضة عن كل دولة ، وعن طرق التعامل معها إعلامياً ، وعن السبل الكفيلة بدعم تلك الدول لإسرائيل ، فمثلاً اعتمد الإعلام الإسرائيلي مع الدول الأوربية وأمريكا الشمالية عدة سبل أهمها : [1]

١ـ تقديم إسرائيل كناتج للفكر والجهد والمهارة النابعة عن الحضارة الغربية .

٢ـ التأكيد على (المعجزات) التي حققتها إسرائيل في (الصحراء) التي كان اسمها فلسطين والتي (أهملها) (الغزاة) العرب ، و (دمروا) معالم الحياة فيها .

٣ـ التذكير المتواصل بأن إسرائيل هي تحقيق لنبوءة دينية وردت في العهد القديم .

٤ـ التذكير المتواصل بفظائع النازية وغيرها من مظاهر الاضطهاد الأوربي عبر التاريخ لليهود ، وأن إنشاءها كان يشكل بالتالي الحل التاريخي للمشكلة اليهودية .

---

(١) أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، الدكتور منذر عنبتاوي : ٣٥ـ٣٧ .

٥ـ تصوير معاداة العرب لها على أساس أنه نتاج تعصب ديني وعنصري يزيد من حدَّته علاقاتها القوية مع العالم الغربي .

٦ـ تصويرها مهددة بصفة مستمرة من جيرانها العرب وخاصة (المصريين) الذين يحلمون في تدميرها وقذف سكانها (الأوربيين) أصلاً إلى البحر .

٧ـ التأكيد على حاجتها للاعتماد على القارتين الأوربية والأميركية ، (مركزي الثقافة والعلم) من أجل تحقيق متطلبات أمنها .

٨ـ التأكيد على أن من شأن توطيد علاقاتها بالعالم الأفرو ـ آسيوي تحقيق الفائدة ، ليس فقط لكل من إسرائيل وهذا العالم ، ولكن لقارتي أوروبة وأميركا أيضاً .

ثم انتقل اليهود إلى مسألة أهم ، وهي : المحاولات الجادة لتحويل الرأي العام العالمي من موقف الفهم والتأييد لواقع الوجود الإسرائيلي إلى موقف الدفاع عن ذلك الوجود والتحالف معه ، أي من موقف التعاطف والقبول بهذا الواقع إلى موقف الإحساس بضرورة استمراره لأغراض السلام والأمن والتقدم والرخاء في العالم .

ولكي ينجح ذلك عمدوا إلى اتخاذ كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، والعلنية منها والسرية ، المهم الوصول إلى الهدف ، فاستقبلوا ضيوفاً رسميين لطرح قضاياهم ، واستضافوا شخصيات مرموقة لكن غير رسمية كالموسيقيين العالميين ، ونظَّموا مهرجانات ومؤتمرات تخدم قضاياهم ، ونظموا أيضاً دورات تدريبية في فلسطين لشرح ما يهدفون إليه ، وأقاموا نصباً تذكارية لمن له صداقات حميمة مع إسرائيل ، وأطلقوا بعض الأسماء على بعض الشوارع في إسرائيل ، كشارع السادات ، والنصب التذكاري للرئيس الأمريكي كندي ، وقاموا

بترجمة بعض الأعمال الأدبية للمشاهير في العالم النامي ، وشجعوا كل ماله علاقة بالسياحة والسياح .

أما خارج إسرائيل فعمدوا إلى تصدير الخبراء بهدف خلق صلات شخصية مباشرة مع مراكز عالمية حساسة ، واهتموا كثيراً بعرض الإنتاج الفني والثقافي الإسرائيلي حتى فرق الرقص والموسيقا ، وقاموا بتشكيل لجان قوية وناشئة لنصرة قضية إسرائيل ، واهتموا بالمحافل الدولية كالأمم المتحدة وأمثالها . . .

كل ذلك تم عن طرق إعلامية عديدة ، منها : مكتب المعلومات المركزي وفيه قسم الأفلام ووحدة ما وراء البحار ، والمكتب الصحفي للحكومة والذي يقوم بإصدار نشرات إخبارية باللغات العالمية وملخص أسبوعي ، ومؤسسة الإذاعة ، والإدارة المركزية لوزارة الخارجية ، إضافةً إلى عددٍ كبيرٍ من الدوائر الحكومية والتي تتبع وزارة الدفاع أو الخارجية . . .

لكن هل ما تفعله إسرائيل ، ومايفعله اليهود في العالم هو أمرٌ جديدٌ ؟

أبداً ، فالصراع بين اليهود ومن سواهم قديم جداً ، وما يهمُّنا هنا ما يحدث مع المسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام الأول .

تقول كتب السير والتراجم إن اليهود قابلوا دعوة الإسلام منذ البدايات بحربٍ إعلامية شرسة ، واستخدموا وقتئذٍ الشعر ـ لسان حال الإعلام ـ ومنهم الشاعر (أبو عفك) الذي سلَّط لسانه على أعراض المسلمين ، وراح يهجو رسولَ الله ﷺ ، ويحرّض المشركين على استئصال الدعوة الإسلامية .

وعندما تكرر فعله الحاقد ، أمر الرسول أن يُقتل ، وبالفعل قُتل على يد الصحابي الجليل سالم بن عمير رضي الله عنه .

وعندما وصل خبر مقتله إلى (كعب بن الأشرف) ـ وكان من أسياد اليهود العرب ـ وصادف ذلك انتصار المسلمين في غزوة بدر. . عندها سلَّط كعب لسانه على المسلمين ، فتارةً كان ينشد الأشعار باكياً أهل القليب ، وتارةً يشبِّب بنساء المؤمنين وهكذا .

فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال : « من لي بابن الأشرف ؟ » فانطلق إليه الصحابي (محمد بن مسلمة) فقتله. .[1] .

ودار الزمن دورته ، حتى أصدر اليهودي النمساوي (هرتزل) كتابه (الدولة اليهودية) في عام ١٨٩٦م والذي دعا فيه إلى قيام وطن يجمع اليهود ، واقترح أن يكون ذلك في فلسطين أرض الميعاد .

ومنذ ذلك الحين ركَّز اليهود على كل الأمور الإعلامية ليصلوا إلى هذا الهدف حتى وصل الحال إلى (أن المرشحين لرئاسة الجمهورية في أمريكا ، يتبارون لكسب ودِّ أصغر يهودي ، وقد لا نغالي إذا قلنا إن الولايات المتحدة « ربيبة إسرائيل » وليس العكس ، وإن رئيس وزراء إسرائيل ، هو الذي يرجح كفة المرشح ليغدو رئيساً ، والرئيس الأمريكي ما هو إلا أفضل قارىء لما يكتبه مستشاره اليهودي ، هذا مع أن معظم الأمريكيين يكرهون اليهود ، لكن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العام ، عن طريق الإذاعة ، والتلفزيون ، والصحف ، ودور النشر ، والسينما ، وما زالوا يجهدون للإجهاز على المجتمع الأمريكي ، بترويج الشذوذ الجنسي ، والحشيش والأفيون ، وجميع الصرعات التي تظهر متلاحقة في المجتمع الغربي)[2] .

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : سيرة ابن هشام : ٤/ ٥١ ، سيرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، للمؤلف : ٣/ ٤٧ـ٥٩ .

(٢) حكومة العالم الخفية ، شيرين سبيريد وفيتش : ٣١ـ٣٢ .

(ومما يصور مدى سيطرتهم على وسائل الإعلام الغربي ، امتلاكهم ـ اليهود ـ لشبكات التلفزيون الرئيسية في الولايات المتحدة ، فهنالك ثلاث شبكات تلفزيونية أساسية في الولايات المتحدة ، وهي (سي . بي . أس) و (إن بي سي) و (آي ن سي) ، وتمتلك الأولى خمس محطات يتبعها (٢٠٠) محطة ، والثانية يتبعها (١٨٧) محطة ، والثالثة يتبعها (١٢٧) محطة) .

(ومن نظرة سريعة على إدارة شبكات التلفزيون الثلاث الرئسية هذه ، نجد أسماء مثل :

(ليونارد جولدنسون)) مدير محطة (أي . بي . سي) .

و (فرد سلفرمان) مدير محطة (إن . بي . سي) .

و (وليام بالي) مدير محطة (سي . بي . أس) .

وهؤلاء كلهم يهود)[1] .

إذن :

استطاع اليهود التغلغل إلى كثيرٍ من البلاد العربية والإسلامية ، وذلك بهدف السيطرة على وسائل الإعلام ، وبهدف شراء الأفلام المأجورة لبث كل ما يُفسد المسلمين ، ولنزع الحقد من صدور المسلمين على اليهود .

لذلك ركزوا على فكرة تشويه صورة السلطان عبد الحميد ، وذلك عندما رفض إغراءات اليهود المالية ، من أجل الحصول على قطعة أرض في ديار المسلمين .

واستطاعوا امتلاك عددٍ كبيرٍ من الصحف التركية ، مثل

---

(١) مجلة البلاغ الكويتية ، عدد (٥١١) ص ٣٧ .

صحيفة(حريت) وصحيفة (كون ايدن) وصحيفة (مليت) وصحيفة (جمهورية اليسارية) . . . .

وفي مصر استطاع اليهود أن يمتلكوا مؤسسات ثقافية كبيرة ، مثل (جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية) والتي كانت تركز على دراسة المخطوطات التي تتعلق بتاريخ اليهود ، و(جمعية أصدقاء الجامعة العبرية و . . !!) .

(وقد نجح اليهود بالفعل في اكتساب ثقة وتعاطف ومشاركة كبار الكتاب والأدباء المصريين مثل : طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، ولطفي لسيد ، وغيرهم ، وفيما يتعلق بطه حسين ، فقد تتلمذ عليه كثير من الطلبة اليهود ، أمثال (إسرائيل ولفستون) الذي أعدَّ رسالة الدكتوراه عن تاريخ اليهود في بلاد الغرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، وقام بالإشراف عليه الدكتور طه حسين ، وقد ركزت هذه الرسالة على إظهار فضل اليهود على العرب!!)[1] .

(وهكذا استطاع اليهود ، بنشاطهم الثقافي ، أن يوجدوا بين الكتّاب في مصر من يتعاطف معهم ، ويقتنع بقضيتهم ، فإذا ما جاءت الطامة الكبرى ، وهتك الستر عن الخبىء ، وكانت (اتفاقية كامب دايفيد) رأينا زمراً من الكتاب والشعراء يباركون هذه الخطوة الملهمة ، ويشيدون باليهودية ودولتها ، ومن هؤلاء مثلاً : (نجيب محفوظ) ، الكاتب القصصي المعروف ، الذي أدلى بأحاديث إلى صحافة إسرائيل وإذاعتها ، تشيد بالصلح مع إسرائيل!!) .

و (أمينة السعيد) رئيسة مجلس إدارة (الهلال) ورئيسة تحرير مجلة

---

(١) الصحافة الصهيونية في مصر ، عواطف عبد الرحمن : ١٩ـ٣٣ .

(المصور) القاهرية ، والتي زارت إسرائيل ، وقامت بإجراء اتصالات مع الصحفيين والكتّاب السياسيين اليهود!!

و (موسى صبري) رئيس مجلس إدارة جريدة الأخبار ، والذي كان من أكبر المدافعين عن سياسة التعاون مع إسرائيل!!

و (أنيس منصور) رئيس تحرير مجلة أكتوبر ورئيس مجلس إدارة (دار المعارف للنشر) في القاهرة ، والذي نظّم حواراً بين ممثلي الحزب الوطني الحاكم في مصر وبين ممثلي حزب العمل الإسرائيلي برئاسة (شيمون بيرس) !!

و (توفيق الحكيم) وغيرهم .

وقد أقيمت ندوة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل ، اشترك فيها (إبراهيم البحراوي) المدرس للأدب المصري بجامعة القاهرة ، و (ثروة أباظة) نائب رئيس اتحاد الكتاب المصريين ، و (سهير القلماوي) أستاذة الأدب العربي بجامعة القاهرة ، و(زكي نجيب محمود) الكاتب بجريدة الأهرام ، وغيرهم كثير . . .[1] .

وهكذا استطاع اليهود أن يصدروا بعض المجلات والصحف في مصر ، منها : المجلة الأسبوعية (العائلة) ، والجريدة الفكاهية (أبو نظارة) ، والمجلة العلمية الأسبوعية (الاتحاد الإسرائيلي) ، والمجلة الشهرية (الأخبار الماسونية) ، والجريدة الأسبوعية الحرة (إسرائيل) ، والمجلة الفكاهية (الأطفال المصورة) ، والمجلة الأسبوعية القضائي (بريد العاصمة) ، والجريدة اليومية (الصراحة) و. . . !![2] .

---

(١) باختصار وتصرف من مجلة الوطن العربي ، وفي عدد من الأعداد ، منها العدد (٢٠٧) صفحة (١٧) و (١٨) .

(٢) نفس المصدر السابق .

أما داخل إسرائيل فيصدر (٢٠) عشرون صحيفة يومية ، منها (١١) إحدى عشرة صحيفة تنطق باللغة العبرية ، وثمان بلغات أجنبية مختلفة ، وواحدة باللغة العربية!!

. . . أجل!

لقد استخدم اليهود كل وسائل الإعلام لتشويه صورة العرب والمسلمين ، فماذا فعلنا أمام تلكم الحملات المخططة المدروسة ؟!

الباب الثالث

عولمة الثقافة والإعلام.... إلى أين ؟ !

ـ الفصل الأول : عولمة ثقافية أم اختراق ثقافي ؟ !

ـ الفصل الثاني : لمحات عن عولمة الإعلام والثقافة .

الفصل الأول

عولمة ثقافية أم اختراق ثقافي ؟!

يرى الباحث عبد الله أبو راشد أن (العولمة الثقافية هي محاولة مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى ، وذلك من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة من خلال دينامية الاختراق الثقافي واستعمار العقول واحتواء الخبراء وربط المثقفين بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة بعيدة عن إعمال العقل التفاعلي للذات وإبقاءه في سياق الأداة الوظيفية التيسيرية المحضة) .

وهذا النمط من التفكير والآلية الحركية لسلوك المنفعة والاحتواء يلقىٰ رواجاً في تكتيك واستراتجية الإدارة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية باختلاف رموزها في شبه إجماع عُبر عنه في أكثر من مكان وموقع ، وقد وظفت من هذا التوجه المال والخبرات والمؤسسات الثقافية الكبرى والإعلامية وأجهزة المخابرات المركزية الأمريكية ، حيث قال الصحفي الأمريكي (جيمس روستون) في هذا السياق :

(إن الصحفيين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف الجامعية ليسوا بالطبع أغنياء جداً وبعضهم ضعيف ورخوا أمام الإفساد المالي ، ولم

تتردد وكالة الاستخبارات المركزية في استمالتهم عندما تستطيع أن تفعل ذلك)[1] .

ويكرِّس هذه الاستراتيجية النفعية والاستيعابية الأمريكي (جاسون إيستاين) بقوله : [2] .

(لا تقتصر المسألة على شراء كتّاب أو جامعيين ، بل ترمي إلى إقامة نظام للقيم ، شكلي ومصطنع ، يحصل بواسطته الجامعيون على الترقيات ، ويُرشىٰ محرروا المجلات ، ويُعطى العلماء مساعدات مالية ، وتُنشر مؤلفاتهم ، لا لقيمتها الذاتية ، التي قد تكون أحياناً ، وإنما بسبب ولائها السياسي ، وإن وكالة الاستخبارات المركزية ومؤسسة فورد قد أقامتا وموَّلتا جهازاً من المفكرين جرى اختيارهم لأسباب تتعلق بمواقفهم الصحيحة من الحرب الباردة) .

وليس غريباً القول بأن العولمة الثقافية المشهودة آنياً ليست أحادية الجانب ولا تأخذ أنموذجاً محدداً دون آخر ، بل كانت ومازالت مدار صراع تاريخي مُحكم ما بين الثقافات الإنسانية عموماً ، والأنكلوسكسونية والتي تتزعمها حالياً الولايات المتحدة الأمريكية والفرانكوفونية التي تدعو إليها بقوة وفاعلية فرنسا والتي استندت إلى إرث تاريخي ولدته شعارات الثورة الفرنسية وأنماط الاستعمار القديم في غزوات نابليون بونابرت من دعوات إصلاحية وتبشيرية ، تسويقية ، وتبريرية لحضارية المستعمر تحت مقولات المساواة والتآخي والحرية ، والاستقطاب الحديث من خلال اختراقات الجذب الثقافي الفرنسي للمفكرين والكتاب والفنانين والمبدعين من كافة الشعوب والجنسيات

---

(١) للتوسع يراجع : الإمبراطورية الأمريكية ، كلود جوليان : ٤٠٢ـ٤٠٥ .
(٢) نفس المصدر السابق .

ومحاولة إدماجهم في مظلة ثقافتها الفرانكفونية ، والآسيوية بزعامة اليابان .

وكلاهما (الانكلوسكسونية ـ الفرانكوفونية) مهدتا لبروز العولمة الثقافية في العصر الراهن ، من خلال مؤشرات دلالية حملتها واحتضنتها العوامل الاقتصادية والمكتشفات العلمية والتقنية في تقاسم وظيفي جديد للمنافع والمصالح الحيوية ثنائية العولمة الثقافية .

وقد استفادت بلا شك أطراف إدارة لعبة الثقافة من أجل الهيمنة والاحتواء وأساليب التأثير المتبادل والتعبيرات الاصطلاحية المتداولة مثل (المثاقفة) في نشر ثقافتها الخاصة وغزو العقول واستباحة ثقافات الشعوب خطوة باتجاه تدجينهم واندماجهم فيها .

وبلا شك أن الدينامية الصاعدة للثقافة الآسيوية المستندة على قاعدة ارتكاز اقتصادية وتقنية مبحث للقلق في الدوائر الأمريكية والأوروبية والفرنسية على وجه الخصوص ، معتبرة ذاتها (الفرانكوفونية) هي أم الثقافات الإنسانية الحية ودائمة الحركة والتوهج في إنتاجية المعرفة والإبداع في كافة المحافل الرسمية وغير الرسمية وبالعديد من دول العالم ، وتمثل رأس الحربة الصدامي مع العولمة الثقافية الأمريكية والآسيوية على حدٍ سواء .

ومن هنا يمكن القول بأن ثنائية التناقض الأبدي مازالت تجد لها متسعاً في مساحة الزمان والمكان وسيرورة التاريخ المتغيرة ، والتي تحاول فيها العولمة الثقافية الأمريكية فرض نموذجها بما لديها من نفوذ عالمي اقتصادي وعسكري وتقني ، والترويج لذاتها الأحادية كأفضل الثقافات ، وبسط سطوتها الثقافية المقتدرة . . .)[1] .

---

(١) العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية : ١٥ـ١٧ .

أجل!

فالذي ساعد الولايات المتحدة الأمريكية في محاولاتها الجادة لبسط نفوذها الثقافي ـ العولمة الثقافية ـ على الآخرين : قوة اقتصادها ، وتقدمها التكنولوجي .

لذلك تسعى الولايات المتحدة إلى استخدام كل الأساليب لجذب المهاجرين من ذوي الخبرات العلمية والمهنية ، وفي جميع الاختصاصات .

وهذا ما تثبته الوقائع يوماً بعد يوم ، وقد صرَّح وزير الخارجية الأمريكية الأسبق (جين راسك) بقوله :

(إن لبلادنا حظاً نادراً لأن باستطاعتها اجتذاب مهاجرين من الخارج أصحاب ذكاءٍ عالٍ وكفاءةٍ مرتفعةٍ ، فالهجرة إذا ما نظمت يمكنها أن تكون إحدى أكبر مواردنا القومية)[1] .

وهذا الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تركز على مسألة اختراق الثقافات لتخضعها لكل ما تصدره من معلومات ومعرفيات ، وذلك من خلال شبكات الاتصال المتطورة ، ومراكز الأبحاث والثقافة ، كالوكالة الأمريكية للإعلام (U.S.I.A) ، ومصلحة الإعلام الإمريكية في أوربا الغربية ، ومؤسسة فورد الثقافية ، ودائرة التجسس المركزية (C.I.A) ، وعن طريق الندوات والمعارض ، وشراء أصحاب الأقلام ، ونحو ذلك .

لذلك فالدور الوظيفي المرسوم لشبكة التلفزة الأمريكية (CNN)هو : (إننا نحاول الحصول على معونة كتّاب مشهورين في عالم الأدب ونطلب

---

(١) الامبراطورية الأمريكية ـ مصدر سابق ـ : ٣٣٦ .

منهم تأليف الكتب لحسابنا ، فشهرتهم تعطي الكتاب إمكانية أكثر للتصديق والإقناع)[1] ، وبالتالي (فاختراق العقول مقدمة منطقية لاحتوائها ، وبالتالي استخدامها وظيفياً في مصلحة تعميم الثقافة الأمريكية ، والترويج لأفكارها في كافة مرافق الحياة العامة والخاصة للمجتمعات البشرية ، ومن استراتجية الاختراق ـ الاحتواء التدجين ـ الاندماج ، لأن اختراق العقول هو رأس مال السياسة النهائية للعولمة الثقافية .

وهـذا التفكيـر المنطقـي ليـس عـدميـاً أو سلفيـاً أو مجـرد دعـابـة استعراضية ، إنما هو ضرورة أمريكية يفترضها الفعل الثقافي الأمريكي كنتاج خبروي تراكمي لمجموعة التجارب والاختراقات في الميادين الأخرى ، لأن التجريبية الأمريكية وأساليب البحث والاستقصاء في مخابر استلاب خبرات الشعوب تولي العقول واختراقها أهمية استثنائية باعتبارها ـ أي العقول ـ هي تجسيد مجازي لعناصر النخبة المتنورة القادرة على التفكير والتغيير في مبنى مجتمعاتها .

وهي الأقدر على مواجهة أشكال الغزو الثقافي ، وهذه الحقيقة الموضوعية تدركها إدارة فعل القرار في الولايات المتحدة بعد أن فشلت أساليب الغزو العسكري المباشر ، والترهيب والترغيب والحصار الاقتصادي والنمطية التقليدية في الإثابة والعقاب وأُسقطت في بعض الدول .

لأن صلابة الموقف التنويري الذي يلعبه العقل في مواجهة الاختراق تحتاج كل هذه الدينامية في عمق التفكير السياسي والثقافي الأمريكي .

---

(١) نفس المصدر السابق : ٣٤٠ .

وعمدت من أجل ذلك بالاعتماد على مغريات المادة والجنس وسطوة الإفساد المالي الموجه لمجموعة المتنورين وحملة لواء الفكر والثقافة والإبداع الوطني والقومي في بلدانهم كمحاولة لتنفيذ سياستها في الاحتواء ، وقدمت المنح والبعثات التعليمية العليا والدورات التدريبية والمكافآت المالية التشجيعية ، وتعزيز الأنا الفردية وإيثار الذات على مصلحة الجماعة والربط الخيطي والشبكي العنكبوتي بعجلة العولمة ، كل حسب اختصاصه وبراعته ومراحل اندماجه .

ولعل الكاتب الياباني الأصل « فرانسيس فوكوياما » يُمثل أسطع الشواهد وأنموذجاً مثالياً لاستراتيجية اختراق العقول)[1] .

أجل!

هذا هو الاختراق الثقافي بالذات ، بحيث يصبح المثقف ـ وفي كل أنحاء العالم ـ وفي كافة الميادين : الفكرية والاجتماعية والأدبية ، بل وحتى في مسألة الأزياء واللباس يصبح مقلِّداً لما يخترق بصره وسمعه وحواسه كلها من نشر الثقافة الأمريكية .

أي : هي عملية إسقاط كل المواقع الثقافية والفكرية لإنسان هذا القرن ، والتخلي عن تراثه وثقافته. . . بل التخلي عن كل ما يحمله عقله!!

وهذا الأمر ـ الاختراق الثقافي ـ ليس بدعاً من القول ، بل منذ عشرات السنوات الماضية عمدت إيطاليا إلى اتخاذ هذه السياسة في ليبيا ، وكذلك فعلت بريطانيا في الأردن والعراق وفلسطين ، وكذلك فرنسا في الجزائر

---

(١) العولمة : عبد الله أبو راشد ـ مصدر سابق ـ : ٣٣ـ٣٥ .

وسورية ولبنان ، وهذا ما أطلق عليه : (الفرنسة) و(الأنكلة) و(الأيطلة) و. . .

وهذا ما تفعله أمريكا اليوم ، وهي (أمركة الثقافة والإعلام) ، والذي ساعد على ذلك كله تسارع التقنيات الإعلامية ، وامتلاك أمريكا لأكبر نصيب من شبكات الإنترنيت ووكالات الأنباء والحواسب المتقدمة ونحو ذلك. . .

* * *

لكن العلماء قالوا :

إن لكل أمة خصوصيات في الأفكار ، وبالتالي فهذه الأفكار تمثّل فيها روح الأمة ، أي : لكل حضارة من الحضارات أفكارٌ تميزها عن غيرها ، وتطبعها بطابع مميز ، ولذلك فإذا ازدهرت حضارة من الحضارات معنى ذلك أنها تقوم على أفكار معينة محددة ، لكن إذا بدأت الحضارة بالذبول والتراجع ، معنى ذلك أنها بدأت تتخلى عن الأفكار التي قامت عليها .

وهذه (الفكرة الحضارية) هي التي تجعل العلماء يميزون بين الحضارة المصرية القديمة مثلاً وبين الحضارة اليونانية ، وبين الحضارة اليونانية وبين الحضارة الإسلامية ، وهكذا. .

لذلك فإن السر في أهرامات مصر ليس هو البناء العظيم فقط ، بل إن المسألة أكبر من ذلك بكثير .

إن السر الحقيقي هو في الأفكار التي كان يحملها المصريون القدماء عن الحياة والموت ، وعن البعث والخلود. . .

ومن الملاحظ أن كل (فكرة حضارية) تتصف بالميل إلى الانتشار ومجاوزة الحدود الوطنية ، بل إن بعضها يميل إلى الغزو من أجل تحقيق فكرة الانتشار ، وهذه العالمية للأفكار الحضارية لن تتحقق إلا على أيدي

المثقفين المهتمين بقضايا الثقافة ، والمتحمسين إلى تحويل الأفكار الحضارية إلى دعوات تشرُّق وتغرُّب .

وهذا ما عبَّر عنه (هيغل) وهو في صدد تعريف دقيق للمنطق ، قال : (المنطق هو الاستيلاء على العالم بالعقل) .

لكن انتشار الأفكار الحضارية والتي تبنتها الايديولوجيات لم يصبح واضح المعالم إلا على يد الحضارة الرأسمالية المعاصرة .

والسبب في ذلك أنها هي أول من امتلك وسائل الاتصال المتطورة .

وهو ما يُطلق عليه (ثورة المعلومات) أو (الانفجار المعلوماتي) ونحو ذلك .

وبالفعل استطاعت ثورة المعلومات خلق الظروف المواتية لهيمنة الأخلاق والأفكار والمعتقدات التي يرغب النظام الرأسمالي أن ينشرها على أكبر عددٍ ممكن من عقول سكان المعمورة ، وذلك بهدف السيطرة التامة على أفكار وعقول ومقدرات الآخرين!!

وما هي إلا أيامٌ حتى أثبتت الوقائع أن حرية العالم الرأسمالي الذي يتبجَّح بها الرأسماليون لا يمكن أن تتحقق إلا على حساب حرية الشعوب الأخرى!!

وبالتالي عمد النظام الرأسمالي إلى ربط الكلِّ بالمركز ، وهذا هو جوهر العولمة!!

لذلك بدأ العالم اليوم يحصد نتائج ذلك عن طريق الثقافة الاستهلاكية والسريعة وهي التي لا تعدو عن مسألة التسطيح الكامل ، والتعميم السطحي لكل شيءٍ .

والهدف أولاً وآخراً هو جعل العالم بأسره يسير على كل التفصيلات الواردة في النظام الرأسمالي : أي (رسملة العالم كلّه!!) .

فماذا حدث على أرض الواقع ؟

يجيب إسماعيل صبري عبد الله على ذلك بقوله : (إن الرأسمالية الكوكبية لم تعد بحاجة إلى القوات المسلحة إلا كسوق تورد له الأسلحة ، وكمصدر لتمويل بعض أعمال البحث والتطوير ، وكلنا نعلم ونرى حتى في مصر الاستغناء عن الشرطة اعتماداً على وحدات الأمن الخاصة التابعة للشركات أو المتعاقدة معها .

ووصل شيوع بطاقات الائتمان في دفع ثمن المشتريات حتى في بلادنا أوسع من الدفع بالشيك ، وفي الحالين نحن نتعامل مع نقود مصرفية تصدرها البنوك دون الرجوع إلى سلطات الدولة في أي شيء .

وقد استغنت الشركات الكبيرة بصفة عامة عن القضاء في المسائل المدنية التجارية بالالتزام سلفاً بإجراءات التحكيم .

والشركات الآن ليست بحاجة إلى هيئة البريد لأنها تستخدم الفاكس أو شركات البريد السريع .

والأمر في بلدان العالم الثالث أخطر من ذلك لأن ضعف البرجوازية المحلية ـ الثقافي والإداري والمالي والإنتاجي ـ يجعلها تجرُّ الحكومة جرّاً لمساعدتها ودعمها وحمايتها وإعفائها من الضرائب . . الخ .

وكثيراً ما تستخدم إفساد ممثلي الدولة وسيلة لاستبعاد المنافس أو خطف عقد على غير أساس من التفوق على العروض الأخرى)[1] .

كل هذا سيزيد من إبراز التناقضات والصراعات والتخدلات العسكرية

---

(١) للتوسع يراجع مقال : الكوكبة (الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية) ، مجلة الطريق ، عدد « ١ » ، الصفحات : ٦٣ـ٦٥ .

وتفتيت الدول والنظم ، وما حدث في حرب الخليج الثانية خير دليلٍ على ذلك!!

أجل!

فهذا هو الهدف الواضح من العولمة الثقافية ، فهي لا تبتعد عن كونها سياسة إمبريالية ، نشأت من رحم الاقتصاد ، ودُرست بعنايةٍ فائقة ، ووُضع لها الهدف المحوري وهو تسويق النموذج الرأسمالي الليبرالي ، سواءً كان ذلك في مجالات الاقتصاد ، أو في مجالات السياسة ، أو الفكر .

أي السيطرة على العالم ، من خلال اختراقه ثقافياً وإعلامياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً .

حتى لو كان ذلك على حساب صهر خصوصيات الشعوب الأخرى في بوتقة الرأسمالية أو على حساب التبعية الحضارية للأنموذج الأمريكي ونحو ذلك . . . ، مصداق ذلك ما سعت وتسعى إليه أمريكا في تأجيج الصراعات بين دول ما كان يُسمى الاتحاد السوفياتي!!

وهذا ما صرَّح به (بريجنسكي) بقوله : إن السيطرة الأمريكية على العالم تستند إلى هيمنتها على الاتصالات و (٨٠٪) من عدد الكلمات والمشاهد والصور التي تدور حول العالم تأتي من الولايات المتحدة الأمريكية!!

إذن القضية قضية (نكون أو لا نكون) ، فإما إعلام قوي ، وثقافة تستند إلى الأصول ، وسلوكيات لها جذور تراثية ، وتقنيات تساير العصر و . . . .

وإلا فالعولمة الثقافية والإعلامية ، وعندئذٍ ستكون الغلبة للقوي

حتماً ، أي الغلبة لليبرالية الجديدة المتمثلة بالولايات المتحدة المريكية ، وهذه هي (الأمركة)!![1] .

مثال ذلك ما يحدث اليوم في أفغانستان ، حيث يتنافس عدد كبير من الأحزاب التي تقف وراء ستار الدين ، مما أدى إلى سقوط ضحايا قُدِّر بأكثر بكثير مما سقط على تحرير أفغانستان من السوفيات!!!

وبالتالي . .

استطاع الغرب ، وعن طريق استخدام جميع الوسائل أن يقوم بعمليات تهميش وتحييد للأفكار والأنظمة الأخرى ، وطرح بديلاً عن ذلك أفكاره وأنظمته لكن تحت شعارات برَّاقة خدَّاعة ، مثل العولمة الثقافية والإعلامية .

فالدول العربية مثلاً لم تستطع تبنِّي منهج سياسي واقتصادي وفكري محدد ، بل ارتبطت كل واحدة منها بدولة أخرى ، مما زاد في التبعية والانشقاقات العربيّة ،

فهذه الدولة تتبنى النهج الرأسمالي وتتبعه تماماً ، ومازال البعض يتمنَّون ويحلمون بتبني النهج الاشتراكي وهكذا .

كل ذلك أدى إلى منح إسرائيل فرصة التفوّق على العرب ، سواءً كان ذلك في مجالات التسليح والتكنولوجيا ، أم في مجالات الفكر والثقافة والعلم ، وأدى إلى انهيار التضامن العربي ، وانحسار المسار القومي والوعي العام لمصالح الأمة ، مما أدى إلى تزايد فاعلية التدخل الأمريكي في المنطقة العربية والذي يعطي مزيداً من الفوائد التي لا مثيل لها بالنسبة

---

(١) للتوسع يراجع : حقيقة الجات ، للمؤلف : ٦٧ـ٨٨ .

لأمريكا ، بينما كانت بالنسبة للعرب مزيداً من الفشل والتشرذم ، وما حدث في حرب الخليج خير دليلٍ على ذلك!

أجل!

إنها سياسة التحييد والتهميش ، فلا معنى للعلاقات الاجتماعية ، ولا معنى للقوة ، ولا معنى للهوية الحضارية .

وهكذا يتعرض العرب اليوم إلى حرب ضروس على عدة جبهات ، أهمها التهميش الإقليمي ، والتهميش الاستراتجي ، وطرح بدائل ما أنزل الله بها من سلطان ، مثل الشرق أوسطية ونحو ذلك . . .

والتهميش السياسي أيضا ، وخاصة عن طريق استخدام قضايا تُطبخ في الخفاء والتي تهدف إلى تكاثر النزاعات السياسية العربية ـ العربية .

والتهميش الاقتصادي العربي ، وخاصة التخلي عن غالبية الطروحات الاقتصادية القديمة ، والسقوط أمام ما تريده الشركات المتعددة الجنسية ، وبالتالي تكريس حالة التبعية . . .

إضافة إلى التهميش التقني ، والتهميش الحضاري . . .

فهل نستسلم أمام سياسة التهميش والاختراق ، تحت حجة العولمة الثقافية ؟!

* * *

الفصل الثاني

لمحات عن عولمة الإعلام والثقافة

تهدف عولمة الإعلام إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام على تجاوز الحدود بين الدول ، والتأثير في المتلقين الذين ينتمون إلى ثقافات متباينة ، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية ، وتحقيق مكاسب للأطراف المهيمنة على صناعة الإعلام والاتصال من ناحية ثانية .

وينطوي مفهوم عولمة الإعلام على مجموعة من الأبعاد والمكونات الأساسية ، وقد أوجزها الدكتور محمد شومان بما يلي : [1]

آـ أن عولمة الإعلام هي عملية متسارعة التغير ، وبالتالي لم تتشكل ملامحها النهائية بعد ، فهي تمرُّ بمرحلة انتقالية ، وذلك لسببين :

الأول : أن عولمة الإعلام تعتبر أحد أبعاد عملية أوسع هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة ، ونظراً لعدم استقرار أو تبلور عملية العولمة ، فإن هناك مجموعة من الرهانات والتحديات الاقتصادية والسياسة والثقافية التي تحدد مسار تطور ـ بل ومستقبل ـ عملية عولمة الإعلام .

---

(١) للتوسع يراجع مقال : عولمة الإعلام والهوية الثقافية ، والمنشور في كتاب ندوة العولمة الصادر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس ـ ليبيا : ٨٢ـ٨٨ .

أي : إن النجاح في عولمة الإعلام يدعم من فرص نجاح عولمة الاقتصاد والثقافة والسياسة ، وبالمثل فإن نجاح عولمة الاقتصاد يدعم من عولمة الإعلام والثقافة السياسية ، والعكس صحيح .

ب ـ الترابط والتكامل بين مجالات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال ومجمع المعلومات بحيث أصبح من الصعب تعريف الإعلام ، أو الاتصال بمعزل عن تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية ، فالثورة في تكنولوجيا الاتصال أوجدت وسائل جديدة في الاتصال مثل البث التلفزيوني الفضائي ، والتكنولوجية الرقمية التي وفَّرت إمكانيات هائلة لاستقبال الصوت والصورة بدقة ونقاء غير مسبوقين ، وكذلك وسائل الإعلام المرئية التفاعلية ، والفيديو تحت الطلب ، والصحافة الالكترونية عبر شبكة الانترنيت ، ووسائل الاتصال المحمولة ، علاوة على التطبيقات المختلفة للوسائط المتعددة ، وقد ارتبطت هذه الوسائل والتطبيقات بالمعلوماتية وبداية الدخول في مجتمع المعلوماتية الذي لم تتبلور معامله بعد .

كل هذا أدى إلى اختيارات وتحديات هائلة أمام الأفراد والمجتمعات ، ففي العالم اليوم (٢٦) مليار جهاز تلفزيوني :

منها (٢٠٠) مليون كابلية ، وحوالي (٦٠) مليون مرتبطة بمجموعة رقمية ، و(٦٩٠) مليون مشترك بشبكات الهاتف ، وهناك حوالي (٢٠٠) مليون جهاز حاسوب : منها (٣٠) مليون مرتبط بالأنترنيت ، ويقدَّر أنه بحلول عام ٢٠٠١م سوف تتجاوز قوة شبكة الأنترنيت شبكة الهاتف العالمية!!

ج ـ النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام والاتصالات والمعلومات .

وقد أفضى هذا النمو إلى مزيدٍ من التداخل بين عولمة الإعلام وعولمة

الاقتصاد ، فأصبحت عولمة الإعلام جزءاً أصيلاً من عولمة الاقتصاد ، وذلك بالنظر إلى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والإعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى والأسواق العالمية .

من هنا فإن أحد أبعاد عولمة الإعلام هو تعظيم الأرباح للشركات متعددة الجنسية التي تعمل في مجالات إنتاج وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات وإنتاج المضامين الإعلامية المختلفة ، فضلاً عن صناعات الإعلام والترويج وبيع خدمات الإعلام والمعلومات .

د ـ توسيع الخيارات والبدائل الإعلامية أمام الجمهور ، فقد وفَّرت تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية وبصورة غير مسبوقة مئات القنوات التلفزيونية ، ومئات المحطات الإذاعية ، وعشرات الصحف والمجلات المحلية والدولية ، فضلاً عما توفره من وسائل الاتصال الأحدث والمرتبطة بالمعلوماتية .

كل هذا كان لصالح المزيد من الأرباح والهيمنة الأمريكية ، وذلك بحكم استحواذها على النصيب الأكبر من الإنتاج العالمي ، وأثبتت الإحصائيات أن صناعة السينما الأمريكية جنت خارج أمريكا عام ١٩٩٥م مبلغاً وصل إلى المبلغ نفسه الذي حققته داخل أمريكا ، أي نحو (٢٫٥) بليون دولار!!

هـ ـ تقليص دور الحكومات والمنظمات الدولية في تنظيم بيئة الإعلام والاتصالات المحلية والدولية ، لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية .

وفي هذا السياق تطرح عولمة الإعلام مهام خصخصة وسائل الإعلام والاتصال ، وإنهاء دور الدولة في مجالات الإعلام .

لكن المشكلة المنطوية وراء دعوة أمريكا إلى خصخصة وسائل

الإعلام ، وإنشاء مجتمع معلومات عالمي ، سيؤدي إلى تهميش دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المعنية بالاتصال ، وبالتالي لا يمانع من نشر الأخبار الكاذبة ، والدعاية المغرضة ، وهذا يعني عدم الالتزام بالقيم الأخلاقية و. . . !!

لكن أهم الإشكاليات التي تثيرها عملية عولمة الإعلام هي :

١ـ مستقبل علم الإعلام أو الاتصال :

بعد الثورة التكنولوجية والتحولات السياسية والاقتصادية طُرح سؤال :

هل نطور النماذج الأساسية القائمة ، أم نُبدع نماذج جديدة ؟

وهكذا كان في مجالات الإعلام ، بل كان من المفروض مضاعفته في مجالات الإعلام ، حتى كانت هذه الثورة الهائلة في مجالات الاتصالات والإعلام عامةً ، وهذا ما يجعلنا أمام مستقبل مجهول لعلم الإعلام والاتصالات!!

٢ـ التأثير الإعلامي ، والثقافة :

هناك من يرى أن الإعلام له دورٌ ضئيلٌ على الثقافة ، بينما يرى آخرون أن للإعلام دوراً كبيراً في توحيد وتنميط الثقافة ، ولكلٌ وجهة يدافع عنها ويقدِّم التبريرات والحجج .

لكن حقيقةً أن هذا الأمر خلق إشكاليةً كبيرةً ، مازالت موضع جدل :

وهي هل للإعلام دور وتأثير في مجالات الثقافة ؟!

فكلما كثرت الخيارات أمام المثقف استطاع الانتقاء وبشكل أفضل ، واستطاع أن يتحرر من قيود الوسائل الإعلامية المبرمجة لصالح فئة أو

سلطة ما ، لكن من جانب آخر قد تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديداً للتعددية الثقافية ، وعدواناً سافراً لمبدأ احترام الهويات الثقافية للشعوب المختلفة ، إذا عجزت الثقافات المختلفة عن استخدام تكنولوجيا الاتصال في تأكيد هويتها الثقافية والتفاعل بروح إيجابية مع حقائق وأوضاع عولمة الإعلام .

٣ـ عولمة الإعلام والمساواة :

إن دخول التطبيقات الحديثة للإعلام والاتصال والمعلوماتية ، والمشاركة فيها ، على المجتمعات الفقيرة والمتخلفة ـ مثلاً العالم الثالث ـ أدَّت إلى خلق تشوهات وانقسامات جديدة تضاف إلى رصيد الانقسامات والصراعات داخل هذه المجتمعات ، حيث اقتصر استخدام التطبيقات الحديثة للإعلام والاتصال والمعلوماتية على بعض أفراد وجماعات النخب في تلك المجتمعات!!

بينما غالبية المواطنين محرومون وغير قادرين على استخدام أو الاستفادة من هذه التطبيقات ، وقد أثبتت الإحصائيات أن أجهزة الهاتف في (طوكيو) وحدها تفوق أعداد الهاتف في إفريقية!!

٤ـ عولمة الإعلام وحرية الإعلام :

المشكلة أن الذين يمتلكون وسائل الإعلام في ظل هذه العولمة المعاصرة هم أصحاب رؤوس الأموال ـ المليارديرات ـ فما هو دور الصحفي أو الكاتب العادي في هذه المعمعة الإعلامية ؟!

إنها الشركات الاحتكارية العملاقة وهي التي تملك كل ذلك ، والمخيف أن يتحول الإعلام العملاق من الدفاع عن مصالح المواطن ، إلى أبواقٍ دعائية للشركات الاحتكارية متعددة الجنسية .

وبالتالي سيزيد الإنفاق على الإعلانات وأنشطة البيع والترويج ، وسيكون هذا الإعلان والترويج معولماً ـ أي متعدد الجنسيات ـ .

وهذا كله يؤدي إلى مزيدٍ من انعدام حرية الإعلام و. . . .

أمام كل هذا لابد من الاعتراف بأننا على أبواب هجمة شرسة ، إعلامية وغير إعلامية .

ولا بد لنا من التسلح بأسلحة شتى أهمها الوعي ، والاستفادة من تجارب الآخرين ، والتوجه إلى الانتقاء والاصطفاء ، ومحاولة مواكبة العصر بما يناسب قيمنا وأخلاقنا وعروبتنا وإسلامنا .

وإلا تحوَّلنا إلى شعبٍ استهلاكي لا وزنَ له ولا يُحسب له أي حساب ! ![1] .

* * *

فما هي العلاقة بين مقولة الشرق أوسطية وبين العولمة ؟[2] .

ثمة علاقة جدلية ما بين مقولات النظام العالمي الجديد والنظام الإقليمي الشرق أوسطي والعولمة الشاملة باعتبارها وجوهاً متماثلة ومتكاملة لعملة واحدة غايتها إعادة ترتيب الخارطة الكونية وفق الاستراتيجية الأمريكية ، ومن يدور في فلكها ـ الدول الصناعية الكبرى ـ والبقاء للأقوى والأصلح وتعميمها في القارات الخمسة والمنطقة العربية على وجه التحديد لما لها من مكانة رئيسة في مقولة الشرق أوسطية ، من هنا يمكن تناول هذه المقولة من عدة مناقب أساسية :

---

(١) للتوسع يراجع : العولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية ؟! للمؤلف : ٢٠ـ٢٥ .

(٢) العولمة ، عبدالله أبو راشد ـ مصدر سابق ـ : ٦٣ـ٧٠ .

ا ـ دلالات المفهوم وخلفياته :

الشرق أوسطية مقولة استعمارية ـ استيطانية ـ استبدالية لحقائق التاريخ تستهدف هوية المنطقة العربية وعروبة فلسطين ، وتدعو لربط الدول العربية في عجلة التسويات الامبريالية المعاصرة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وهي المولود (القيصري) لمشروع النظام العالمي الجديد ، من خلال اعتبار الكيان الصهيوني أحد الأدوات الفاعلة وتهيئة الأجواء دولياً وعربياً ، لإقامة حلف استراتجي وقاعدة انطلاق أساسية للعولمة الأمريكية في مواجهة الاحتمالية المتوقعة في أوربا وآسيا وإفريقيا من متغيرات طارئة تخرج عن حدود السيطرة الأمريكية ، ويعود هذا المفهوم الجديد القديم إلى أحلام (هرتزل) التي تمخضت عن مؤتمر بال ١٨٩٧م بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ومباركة شاملة من الاستعمار القديم ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ والمتجلية في مؤتمر (كامبل بزمان) عام ١٩٠٥ـ١٩٠٧ وسايكس بيكو ١٩١٦ ، ووعد بلفور ١٩١٧م .

مروراً بالامبريالية الأمريكية في عهد إدارة ترومان (سد الفراغ) وإقامة حاجز بشري يكون رادعاً استراتيجياً لأية وحدة عربية ، وإبقاء المنطقة في واقع التخلف وقاعدة أساسية من قواعد الامبريالية المتقدمة ، وقد اتخذ هذا المفهوم بعد انتهاء الحرب الباردة واندحار الاتحاد السوفياتي ومنظومة الدول الاشتراكية وحرب الخليج الثانية ١٩٩٠م على وجه التحديد مجالاً حيوياً لإحيائه والعمل الميداني في آلية تنفيذه .

وقد سبق أن قدمت مجموعة من الأفكار للكونغرس الأمريكي تحت عنوان (التعاون الإقليمي في الشرق الأوسط) قائمة على أساس إدخال الكيان الصهيوني في المجال الحيوي للسياسة الشرق أوسطية وتهيئة الأجواء للاعتراف العربي الشامل به كجزء لا يتجزأ من تراث المنطقة من

خلال تطوير قنوات التعاون في مجالات العلوم التكنولوجية وإقامة شبكة من وسائط الاتصال الحديثة والربط الإقليمي لدول المنطقة ، وبالتالي إقامة مشاريع اقتصادية تنموية للاستثمار الأفضل للمياه والطاقة وفتح أسواق استهلاكية ، وهذا التوجه عبَّر عنه صراحة (روبرت ماكفرلين) مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق بقوله : (يجب أن يكون للتوجه السياسي بعده الاقتصادي على أساس أن السلام في الشرق الأوسط هو مصلحة عالمية ، وأنه يجب تأمين تكاليف هذا المخطط عالمياً ، فاليابان وأوروبا الغربية التي تتزود من نفط الشرق الأوسط لها مصلحة خاصة ، وبالتالي واجب الإسهام والسعي الجدي لتحقيق السلام في هذه المنطقة المتفجرة تاريخياً) .

وفي الجانب الصهيوني ارتبط مفهوم الشرق أوسطية باسم (شمعون بيريز) والتي وجدت في اتفاقيات أوسلو ووادي عربة وقمة الدار البيضاء وعمَّان حجر الأساس لتنفيذها ، حيث سبق وقدمها (بيريز) أما مجموعة من المثقفين المصريين في القاهرة ١٩٩٢ وأعاد طرحها في كتابه ١٩٩٣ تحت اسم (الشرق الأوسط الجديد) ، والذي يدعو فيه إلى نسيان الماضي والحروب ووضع حدٍّ للصراع العربي ـ الصهيوني وبناء شرق أوسط جديد متجانس وروحية العولمة ومنفذ لبرنامجيتها بقيادة صهيونية .

وأما المرتكزات لذلك فكانت الاتفاقيات ـ كامب ديفيد وأوسلو ، ووادي عربة ـ وأما الأدوات فهي الكيان الصهيوني .

ب ـ الدور القيادي للولايات المتحدة في الشرق أوسطية :

بداهة ندرك بأن الكيان الصهيوني هو أحد المرتكزات الأساسية في السياسة الشرق أوسطية ويحتل المكانة الرئيسة في سلَّم أولويات الاستراتيجية الأمريكية كعنصر فاعل وتابع وأحياناً كشريك ، لأن وجوده

يمثل تحدياً حضارياً استعمارياً ـ استيطانياً ونموذجاً مطابقاً للسياسة الأمريكية وأحد فروعها ، وكما يتصورها دعاتها أنها واحة الديمقراطية في صحراء العرب ، وامتداداً غريباً في جسد المنطقة في عملية استيطان نادرة ترى في المهاجرين الأوربيين الأوائل للقارة الأمريكية وطرد سكانها الأصليين والهنود الحمر ، واستئصالهم وتدجينهم مثالاً راقياً للمحاكاة ، وفي هذا السياق نرى الرئيس الأمريكي (جون كنيدي) في كتابه (استراتيجية السلام) عام ١٩٦٠م تكريساً لأهمية الدور القيادي للولايات المتحدة والوظيفي للكيان الصهيوني بقوله :

(إن هناك سبع حقائق تعطي منطقة الشرق الأوسط وضعاً مميزاً ، وأهمية خاصة ، هذه الحقائق هي على التوالي : الأهمية الاستراتيجية للمنطقة التي تسكنها ملايين غير منحازة ، البترول ، التسلل الشيوعي ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبروز القومية العربية ، ثورة المنطقة ضد الاستعمار الغربي وبروز مصر كزعيمة للعالم العربي ، وأن الحقيقة الأخيرة هي أن طبيعة الشرق الأوسط سيحددها في الأجيال القادمة عامل لم يكن موجوداً من قبل هو دولة إسرائيل) .

وتعبر إدارة الرئيس (جيمي كارتر) نقطة تحول رئيسة في السياسة الخارجية الأمريكية وخطوة أولى ارتكازية باتجاه العولمة ، وتجاوز السياسات التقليدية للتيارات الحاكمة (الإقليمية ـ العالمية) ، وهذا التحول يستهدف آلية التعامل الأمريكي مع المنطقة العربية ومسألة الصراع العربي ـ الصهيوني وفق منهجية (الخطوة خطوة) أو عبر أساليب المقايضة والابتزاز السياسي عقب حرب حزيران ١٩٦٧ (الانسحاب مقابل الاعتراف) وتجاوز مشروع روجرز ١٩٦٩ ، والقرار (٢٤٢) والتي كانت قبل (كارتر) من أهم الركائز في السياسة الأمريكية الشرق

أوسطية ، ويتجلى التصور الأمريكي لإنها الصراع والدخول في التسوية في عهد (كارتر) في :

١ـ إقامة سلام تام وعلاقات طبيعية كاملة بين الفريقين تضخم فيما تضمه الاعتراف القانوني والدبلوماسي وتبادل التمثيل والحدود المفتوحة ، وحرية التبادل التجاري والثقافي والإنساني .

٢ـ تحديد الحدود الآمنة والمعترف بها (العنصر الإقليمي) أن الانسحاب الصهيوني من أراض محتلة بعد ١٩٦٧م .

٣ـ تسوية القضية الفلسطينية كجزء من التسوية الشاملة .

والجدير بالذكر أن عصر الانفتاح على الآخر الصهيوني بدأت عجلتها في ظل إدارة الرئيس (كارتر) كحلقة أولى مفصلية عبر بوابات اتفاقيات كامب ديفيد ، والتي جاءت كمدخل أساسي لعبور المنطقة العربية في التسويات والعصر الأمريكي ، لاسيما بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م ، لأن الولايات المتحدة تدرك منذ كارتر وحتى كلينتون أهمية التسوية وإنهاء الصراع في المنطقة ولمواجهة تحديات كبرى احتمالية من الولايات المتحدة الأوروبية الناهضة بزعامة خفية من ألمانيا الموحدة ، واليابان المخترقة لماكينة السوق التجاري العالمي في ميادين الألكترونيات وتجارة السيارات ، والصين بعد رحيل آخر قياصرة الحكم الماوي ، وغيرها من العوالم الاقتصادية المزاحمة ، وقد استندت استراتحية الولايات المتحدة السياسية بالتعاطي مع القضية الفلسطينية ضمن الثوابت التالية :

١ـ الاحتفاظ بإسرائيل كأكبر قوة عسكرية وسياسية في الشرق الأوسط ، لأن في ذلك الضمانة الوحيدة الدائمة للمصالح الإمبريالية في المنطقة .

٢ـ نزع صاعق اللغم المتفجر (المشكلة الفلسطينية) بإيجاد حل ضمن

إطار مقبول ، كدمج الفلسطينيين بالكيان الأردني ، أو تذويبهم في الدول العربية لتجنب الكيان الصهيوني أزمة اجتماعية وسياسية مستقبلية .

٣ـ جر منظمة التحرير الفلسطينية إلى طاولة المفاوضات مباشرة أو مداورة بعيداً عن حرب التحرير الشعبية ، حيث تختنق السمكة بعيداً عن الماء ، وتتمكن الأنظمة (المعتدلة) من تلبية شروط المفاوضات .

٤ـ حماية المصالح الأمريكية الحيوية السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفطية ومواجهة النفوذ السوفياتي بالدرجة الأولى ، وهي مستعدة لخوض عشرات الحروب من أجل الحفاظ على هذا المورد الحيوي ، وقد ساهمت الدينامية القيادية للولايات المتحدة الأمريكية في إحداث تحولات إقليمية ودولية كبرى منذ ثمانينات القرن العشرين لاسيما في عهد (ريغان) واستراتيجية الروح الاستراتيجي بالقوة العسكرية المباشرة وتعزيز التحالفات العسكرية وتوقيع اتفاقية التفاهم الاستراتجي الأمريكي ـ الصهيوني لخطة عملية فاعلة في تنفيذ المشروع الإقليمي الشرق أوسطي ، والذي تمخض عنه محاولة ضم الجولان ، والاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢م .

ولقد وضعت الإدارة الأمريكية في عهد (بوش) المصلحة الأمريكية أولاً وأخيراً ، وتناغمت مع مقولة روزفلت (إن قدرَنا هو أمركة العالم) في صياغة أمريكية معاصرة تحت مفهوم (النظام العالمي الجديد) ، مقسمة المجال لإقامة نظام إقليمي شرق أوسطي وفق المقاييس الأمريكية ، وهذا ما عبَّر عنه بوضوح (ريتشارد مورفي) بقوله : (لاينبغي على إسرائيل أن تدرك أنها ليست الدولة الوحيدة التي لها مصالح في الشرق الأوسط ، وهذا ما تحاول أن تفعله إدارة (بوش) ، لقد أدبرت الأيام التي كانت فيها إسرائيل تأخذ المال وترسم في الوقت

نفسه سياسة أمريكا الإقليمية في الشرق الأوسط) .

وقد دفعها هذا التوجه لخوض الصراع في منطقة الخليج العربي وحسم مسألة الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ ، وتأكيد مساعي السلام في المنطقة حسبما أوردته صحيفة (نيويورك تايمز) عقبها ومتجهة إلى الكيان الصهيوني : (إننا لا نريد أن نستعمل مساعداتنا في طريقة من شأنها أن تطيح بعملية السلام ، فالسلام هو الفرصة لبناء إسرائيل أفضل وأكثر أمناً وازدهاراً ، وهذا هو جوهر الموقف الأمريكي لإنقاذ إسرائيل رغم أنفها) .

هذه المجاهرة السياسية للإدارة الأمريكية والتي تحفظ لها هيبتها كقوة عظمى في ثلاث منابر ، أنها معنية بالنفط العربي ، كحليف ثابت للكيان الصهيوني ، وكقوة عالمية كبرى معنية بمصير كل منطقة من مناطق العالم ، وهذا ما قطفت ثماره إدارة الرئيس (كلينتون) في ولايتيه ، من إحياء لمقولات أمريكية والعمل الجاد بفاعلية ميدانية لبلورتها عبر بوابات خلق النظام الإقليمي الشرق أوسطي ، والنظام العالمي الجديد ، دخولاً موفقاً للعولمة الأمريكية ، أي أمركة العالم في رياح القرن القادم .

* * *

ذات يوم كتب (صمويل هنتجون) في مجلة شؤون خارجية مقالاً تحت عنوان : (الغرب : متفرّد وليس عالمياً) جاء فيه :

(إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب ، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية ، وشاهدت الأفلام الأمريكية ، واستمعت إلى الموسيقا الغربية ، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد ، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية الغربية ،

والأصول اللاتينية للغات شعوبها ، والفصل بين الدين والدولة ، وسيادة القانون ، والتعددية في ظل المجتمع المدني ، والهياكل النيابية ، والحرية الفردية . . .) .

(. . . وإن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية ، بل العكس ، يودِّيان إلى مزيدٍ من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب ، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة ، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيوتها في مواجهة حضارات العالم ، وهذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي) .

وهذا كلام حق .

حيث إن غاية خلق الإنسان على هذه الأرض هي الخلافة ، والتي تعني : النيابة عن الخالق سبحانه وتعالى ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وقبل هذه الآية مباشرة ترد آية أخرى تبين محل الحضارة ، قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وهكذا تكتمل حلقات الفعل الحضاري : طبيعة ﴿مافي الأرض جميعاً﴾ على الإنسان ﴿الخليفة﴾ ليكون الإبداع والخلق . . .

لذلك فلكل مجموعة من الأفراد (شعب) خصوصياته : الثقافية

وغيرها ، أما العولمة فهي التي تطمح إلى صياغة ثقافية كونية شاملة ، تركز على الحرية السياسية والتعددية الفكرية ، واحترام حقوق الإنسان ، وإقامة المجتمع المدني . . . ، كل ذلك بعيداً عن الأديان وخصوصيات الشعوب والذي زاد في إنجاح العولمة ـ كما سبق القول منا ـ الثورة الاتصالية القوية ، كقنوات الفضائيات ونحو ذلك .

لكن ما يخيف بعض المفكرين أن العولمة المعاصرة ليست إلا ما يصدِّره الغرب القوي ـ بكل الجوانب ـ إلى المجتمعات الأخرى ، كالعالم الثالث ، أي تصدير ما يريده الغرب ، حتى لو كان مخرِّبا للأخلاقيات ، أو مدمِّراً للسلوكيات ، أو مهدِّماً للخصوصيات . . . ، وبالتالي فهذا هو الغزو الثقافي حقيقةً ! !

لكن وما دام الإسلام الذي نعتنقه عالمياً ، أي يناسب الجميع ، فهل تُخيفنا مسائل العولمة ، وخاصة الثقافية ، سواءً على خصوصياتنا أو غير ذلك ؟ !

أو ننسى أن دمشق والقاهرة وبغداد كانت يوماً ما عواصم الثقافة العالمية ؟ أو ننسى أن لغتنا العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ كانت يوماً هي أكثر اللغات عالمية وانتشاراً ؟

أو ننسى أن كبار العلماء والمثقفين في أوروبا ، كانوا يتفاخرون يوماً ما بأنهم تخرجوا من معاهدنا وجامعاتنا .

أجل !

كنا يوماً ما نصدِّر العولمة ـ بكل أشكالها ـ إلى كل أنحاء العالم ، وذلك يوم كان أميرنا يخاطب السحابة قائلاً : أمطري أو لا تمطري ، فأنّا أمطرتِ فسيأتيني خراجك بإذن الله تعالى ![1] .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : المسيرة التاريخية لتطبيق الزكاة ، للمؤلف : ٦٤٤ـ٦٦١ .

إذن : هل نهاب اليوم من نتائج العولمة الثقافية وغير ذلك ؟

أبداً ، فنحن أمة لنا خصوصياتنا ، ونحن الذين نملك كل الوسائل والمرتكزات الثقافية ، فالقرآن الخالد المعجز ، وسنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، والتراث الفقهي الذي لا مثيل له في العالم. . . كل ذلك حصون منيعة أمام كل أنواع الغزو. . .

لكن أين. . . أين المتمسكون بالمشروع الثقافي العربي الإسلامي ؟!

وما هي المعوِّقات أمام تمسك الناس بثقافاتنا ، ولماذا لا تنتشر كما كانت في يومٍ من الأيام ـ أيام الازدهار ـ ؟

هناك عدد كبير من المعوقات ، لكن أحب التأكيد على نقطتين اثنتين ، هما :

الأول : أنه في بداية عصور الانحطاط لهذه الأمة ، راح التلاميذ ـ طلاب العلم الشرعي ـ يقدّسون أقوال المشايخ ، وخاصة علماء كل مذهب ، حتى تحوّل الأمر إلى تقديس الأقوال ، بل زاد الطين بلّة أن بعضهم وضعوا أقوال المشايخ إلى جانب النصوص المقدسة!!

بل زادت العصبية عند بعضهم أن جعلوا أقوال المشايخ حاكمة على نصوص القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ!!

علماً أنه لا معصوم بعد المعصوم الأعظم ﷺ ، وكلٌّ يُؤخذ منه ويُردُّ عليه إلا صاحب القبّة الخضراء صلوات الله عليه .

مصداق ذلك التعصب المقيت جواب الإمام الحنفي الكرخي ، وذلك عندما سُئل عن الناسخ والمنسوخ في القرآن ، فكان جوابه ، كل آية تخالف أقوال علماء مذهبنا فهي منسوخة!!!

علماً أن أئمة المذاهب هم الذين طالبوا الناس أن يعتبروا أقوالهم

ليست إلا اجتهادات بشرية ، قابلة للخطأ والصح (فإذا وجدتم في كلامي ما يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط) .

. . . وهذا التعصب المقيت . . . وهذا التقديس لأقوال البشر جمّد كل أبواب الاجتهاد وأغلقها ، حتى أصبحت العلوم كمن يدور في حلقة مفرغة . . . أو كمن يعيش في طاحونةٍ لا تطحن إلا الهواء ! ! .

الثاني : فتح باب صبغ الأمور الدنيوية بصبغة الدين : وهذه طامة كبرى ابتليت بها هذه الأمة .

ذلكم لأن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حرَّمه نص ثابت القطعية والدلالة ، وبالتالي فالتحريم والتقييد هما شذوذ القاعدة .

وهكذا فهم الرعيل الأول من هذه الأمة أن الله تعالى أكمل الدين فقط ، ولم يكمل أمور الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وكان ذلك في حجة الوداع ـ أي قبيل انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ـ وهذا يعني أن الأحكام القطعية قد كملت وتمت ، أما أمور الدنيا فلم تُغلق ولن تُكتمل حتى تقوم القيامة .

وإلا كان يجب أن يُقال : (اليوم أكملت لكم دينكم ودنياكم) ! !

ولما دار الزمن دورته ، وآل الأمر إلى بعض رجالات الدين ـ الكهنوتية ـ أطلقوا شعاراتٍ ما أنزل الله بها من سلطان ، ومنها (الإسلام دين ودنيا) وفسَّروا ذلك بأن رجالات الدين يفهمون كل تفصيلات أمور الحياة!

فتجمَّد الاجتهاد وأُغلقت أبوابه تماماً ، وبالتالي راح الناس يردِّدون ما كان يُقال في القرون الأولى ، حتى في مجالات أمور الدنيا .

علماً أنه لا القرآن ولا النبي ﷺ قالا بأن أمور الدنيا كأمور الدين قد ختمت واكتملت .

وفي حادثة قصة (تأبير النخل) التي رواها الإمام مسلم في الصحيح وغيره ما يوضح الفكرة ، وملخصها :

أن بعض الصحابة استشار الرسول ﷺ في تأبير النخل ، فكان جواب الرسول بالإيجاب .

ويشاء الله أن لا يحمل النخل الذي أبَّره القوم ، ولما قيل للنبي ﷺ عن ذلك ، قال جملةً تدلُّ بكل وضوح عن المنهج الذي يجب أن يسير عليه المسلمون ـ في كل مجالات حياتهم ـ قال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

لكن أولئك الفطاحل المتأخرين ، قلبوا المسألة ليقولوا للناس : نحن أعلم بأمور دينكم ودنياكم!!

فماذا كانت النتيجة!!

أضرب مثالاً واحداً عن كيفية تقديس آراء الأشخاص وإغلاق أبواب الاجتهاد ، وتعطيل الفكر حتى لو كان في ذلك مخالفة للنصوص القطعية .

في جريمة الزنا ، وتحت عنوان المرأة المستأجرة ، ورد في الموسوعة الجنائية في الفقه الإسلامي للدكتور أحمد فتحي بهنسي : (٣/ ٢١٥ـ٢١٦) :

(نجد هنا رأياً خطيراً للإمام أبي حنيفة ، ونعرض الأمر في تفصيل :

إن استأجر الرجل امرأةً ليزني بها فزنى بها ، اختلف الفقهاء في وجوب الحدِّ عليه :

١ـ **قال أبو حنيفة** : إنه لا يجب عليه الحدُّ ، أما لو استأجرها للخدمة فزنى بها يجب عليه الحدُّ ، وحجَّته في ذلك ما روي أن امرأة طلبت من رجلٍ مالاً فأبى أن يعطيها حتى مكنّته من نفسها ، فدرأ عمر ـ رضي الله عنه ـ الحدَّ وقال : هذا مهرها ، لأن الله تعالى سمى المهر أجرة بقوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] .

فصار شبهة ، لأن الشبهة ما يشبه الحقيقة لا الحقيقة ، ألا ترى أنه لو قال : أمهرتك كذا لأزني بك لم يجب الحدُّ ، فكذا إذا قال استأجرتك وخذي هذا لأطأكِ!!

٢ـ **وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي** : يجب عليه الحدُّ لأنه ليس بينهما ملك ولا شبهة فكان زناً محضاً فيحد ، وهذا لأن الاستئجار ليس بطريق الاستباحة الأبضاع شرعاً فكان لغواً ، كما لو استأجرها للطبخ أوالخبز ثم زنى بها ، لأن محل الإجارة المنافع لا الأعيان[1] .

لا نملك إلا أن نردد قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] .

ورحم الله الإمام ابن حزم ، فبعد أن ناقش الحنفية في قولهم مناقشة قاسية ، قال :

إن حدَّ الزنا واجب على المستأجر والمستأجرة ، بل جرمهما أعظم من جرم الزاني والزانية بغير استئجار ، لأنهما زنيا كما زنى غيرهما ، ولا فرق ، وزاد المستأجر والمستأجرة مع الزنا حراماً آخر ، وهو أكل المال بالباطل .

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : المغني لابن قدامه : ١٠/ ١٩٤ ، المهذب للشيرازي : ٢/ ٣٦٨ ، تبيين الحقائق للزيلعي : ٣/ ١٨٤ ، حاشية العلامة الدسوقي على الشرح الكبير : ٤/ ٧٩ ، وغيرهم .

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ : وأما الحنفيون المقلدون لأبي حنيفة في هذا ، فمن عجائب الدنيا ، وأنى لهذا عملاً إذ يرون المهر في الحلال لا يكون إلا عشرة دراهم لا أقل ، ويرون الدرهم فأقل (التمر) مهراً في الحرام ، إلا أن هذا هو التطريق إلى الزنا ، وإباحة الفروج ، وعون لإبليس على تسهيل الكبائر ، وعلى هذا لا يشاء زانٍ ولا زانية ، أن يزنيا علانية إلا فعلا هذا في أمن من الحدِّ ، بأن يعطيها درهماً يستأجرها به للزنا ، فقد علَّموا الفساق الحيلة ! ![1] .

ألا يكفي ذلك دليلاً على كيفية انقلاب الأمور رأساً على عقب ، وبالتالي إلى المآل الذي آل إليه الوضع الثقافي الإسلامي ؟!

إذن :

عندما تعود الأمة العربية والإسلامية إلى ثقافتها الأصلية الصافية ، عندها لا تخاف من عولمة اقتصادية ولا ثقافية ولا تقنية ولا غير ذلك .

فثقافتنا : بكل جوانبها أخلاقية ، مصداق ذلك ما وصف الله به خيرة خلقه محمداً ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وثقافتنا : عالمية ، مصداق ذلك ما خاطب الله به نبيه محمداً ﷺ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وثقافتنا : إنسانية ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وثقافتنا تتصف بالتسامح : وذلك لأن الله تعالى خلق الناس مختلفين ، وحسابهم ينحصر بالله وحده ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨ـ١١٩].

---

(١) للتوسع يراجع : المحلَّى : المسألة (٢٥١) : ١١/١٤٩ .

وقال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥] .

وثقافتنا : وسطية ، مصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وثقافتنا تتصف أنها تتكامل مع الثقافات الأخرى ، مصداق ذلك ما ورد في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنةٍ من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلاّ وُضِعتْ هذه اللبنة ؟! فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »[1] .

لذلك ، فلا مانع من أن يستفيد المسلم من كل ما لدى الآخرين ـ من ثقافات وعلوم ونماذج صناعية وأساليب اقتصاديات ونحو ذلك ـ شريطة أن يخضعها للأمور الشرعية ، مصداق ذلك قول النبي ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها »[2] .

لكن لابد من الفهم الدقيق لكل ما له علاقة بثقافتنا ، وذلك بهدف تمحيص الغث عن الزبد ، وإلا فهل نعتبر من ثقافتنا كل ماورد في الكتب الحشوية أو الماجنة أو الإسرائيليات ؟!

ولابد من الاعتزاز بانتمائنا العربي والإسلامي ، وليس في هذا تعصباً أو تحيزاً أو مجافات للحقيقة ، إنما ذلك اتباعاً للصراط المستقيم الذي

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، رقمه (١٤٧٣) .

(٢) سنن الترمذي : رقمه (٢٦٨٨) .

خطَّه الله في كتابه المحكم بقوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

والرسول ﷺ هو الذي حمل إلى العالمين الدين الحق ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

لذلك عندما فهم الرعيل الأول معنى الاعتزاز بالانتماء إلى هذا الدين الحنيف ، وقفوا مواقف رائعة جداً .

من ذلك موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه أمام رستم قائد جيوش الفرس وقوله بكل ثقة واعتزاز :

نحن قوم ابتعثنا الله لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام(١) .

ولا عزَّة لنا ولا مجد إلا إذا اعتززنا بذلك حقاً ، لنصل إلى مقصد الشاعر :

أبـي الإسـلامُ لا أبَ لـي سـواهُ إذا افتخـروا بقيـسٍ أو تميـم

وهذا هو المنهج القويم ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله صلوات الله عليه :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١ـ١٦٣] .

ولا بدَّ لنا أن ننظر إلى تراثنا نظرة موضوعية ، بحيث نتقبل منه كل

---

(١) للتوسع يراجع : تاريخ الطبري : ٣/ ٥١٧ .

ما يوافق القرآن وما صح عن النبي ﷺ ، وما طابق العلم الحديث المجرَّب .

وأن نغربل التراث من كل الشوائب والإسرائيليات ، وكل الأمور التي عفا عنها الزمان ، فلا هي تفيد ولا هي محل مناقشة ، فلماذا نبقي أبحاثاً مطولة في كتبنا الفقهية عن الرق وأحكامه ـ مثلاً ـ وليس في هذا الزمان رقٌّ أبداً ؟!

إذاً : علينا أن نقرأ التراث قراءة هادئة واعية ، لا قراءة تقديس وتعصب لأنه ليس كلاماً معصوماً أبداً .

حتى كتب التفسير ففيها قضايا لا تقدم ولا تؤخر ، وحسبك أن تنظر في تفسير سورة الكهف لتجد أن تفسير الإمام السيوطي أفرد أكثر من صفحتين وهو يروي لنا روايات عن اسم كلب أهل الكهف!!

وحتى كتب الفقه ، ففيها بعض الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان!

وحتى كتب التصوف ، ففي بعضها شطحات لا تنضبط بضوابط الشريعة ولا العلم!

وحتى كتب الأحاديث النبوية ، ففي بعضها الأحاديث الواهية أو الموضوعة!

وهذه المهمة ـ مهمة قراءة التراث بوعي ـ هي من مسؤوليات من نصَّبهم الله وفرَّغهم للدعوة إلى الله تعالى .

وإلا أيهما أفضل أن نُحدث معارك ثقافية حول قضايا خلافية : أبَوي رسول الله في الجنة أم في النار ؟! عمّ الرسول أبي طالب : أمات على الكفر أم على الإيمان ؟! أيهما أحق بالخلافة : علي أم أبو بكر ؟! و...!!

ما أشبه الليلة بالبارحة :

دخل الأعداء بغداد ، وراحوا يذبِّحون المسلمين ، ويرمون الرؤوس في الآبار ، وعلماء ذلكم الزمان مشغولون بقضايا هامشية لا تقدم ولا تؤخر : كيف يحفُّ المسلم شاربه ؟!

لذلك قال الشاعر المتنبي ساخراً من ذلك كله :

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمةً ضحكت من جهلها الأممُ؟!

فأيهما أفضل للأمة : أن يقطعوا أوقاتهم بأمثال هذه الأمور ، أم أن يُمحّصوا تراثهم الثقافي ويغربلوه ، ليميزوا النافع منه من الذي وُضع للتسلية! ؟

وليس في هذا الكلام تهجماً على ما قدَّمه علماؤنا القدامى ، بل على العكس تماماً ، إنه عملية تصفية لكل ما نقله السابقون ، وبالتالي هو خدمة للعلماء القدامى لنخرج مما ألصقه الناس فيهم ـ عبر الأزمنة ـ وهو لم يثبت عنهم ، فنلقيه في سلّة المهملات ، ثم لنصيغ ما قالوه حقاً صياغة عصرية وضاءة .

مع الاهتمام الكبير والتركيز على مسألة الاهتمام بالجوهر لا بالشكليات ، والتركيز على الكليات لا الجزئيات ، والاهتمام بما اتفق عليه لا بالمختلف فيه . . .

ورحم الله الحافظ الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) عندما قال عن شيخه ابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ) : شيخ الإسلام حبيبٌ إلينا ، ولكن الحق أحبُّ إلينا منه .

أجل!

عندما نصفِّي تراثنا الثقافي ونقدمه للناس في هذا العصر ، ونحاور من خلاله كل دعات العلمانية والعولمة والأمركة ، معنى ذلك أننا مازجنا بين

التراث وبين النافع من كل ما هو معاصر ، فليس كل قديم مقدس ، وليس كل جديد صحيح ، لذلك لابد من معرفة العصر والواقع ، ولابد من النظر إلى إيجابيات وسلبيات هذا العصر ، ولابد من الانفتاح على كل ما هو مطروح على الناس اليوم ، ولا بأس من الاستفادة من كل التكنولوجيا والعلوم ، ولابد من عدم التشاؤم من الواقع المرّ للأمة ، بل على كل مؤمن أن يردد قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] .

* * *

الباب الرابع

واقع الإعلام الإسلامي المعاصر!

ـ الفصل الأول : هل العولمة قَدَرٌ حتميٌّ ؟!

ـ الفصل الثاني : موقع الإعلام الإسلامي في العالم!!

الفصل الأول

هل العولمة قَدَرٌ حتميٌّ ؟!

يرى الدكتور عبد الإله بلقزيز أن العولمة الثقافية هي :

(فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات ، وبالتالي فهي رديف الاختراق الذي يجري بالعنف ـ المسلح بالتقانة ـ فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها العولمة) .

وبالتالي فهي : (السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات ، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصالات .

وهي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون ، وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية عديدة ، وخاصة في أفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية)[1] .

لكن السؤال المطروح : هل العولمة قَدَرٌ حتميٌّ ؟!

وبالتالي ، هل علينا أن نستسلم أمام العولمة وأنواعها ؟ وهل علينا الاعتراف بأنه لاحول ولا قوة لنا ولا حيلة أمام تلكم الظاهرة ؟

---

(١) في مجلة المستقبل العربي ، عدد (٢٢٩) ٣/١٩٩٨م ، صفحات (٩١ـ٩٣) .

وهل يمكن لأحدٍ في هذه الأيام أن يعيش خارج اللعبة ؟ وهل بيد أحد الخيار أن يشارك بمظاهر العولمة أم يرفضها ؟

وهل كُتب على الدول الفقيرة أن تكون أكثر تهميشاً مما هي عليه في هذه الأيام ؟

وهل نحن أمام عهد صياغة ثقافية عالمية ؟ !

ثم ماذا علينا أن نفعل أمام هذه الرأسمالية المعولمة ، والتي تعتمد على الشركات متعددة الجنسية : والتي تتمركز في أماكن ثلاثة ، هي : الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد الأوروبي ، واليابان .

والتي تهيمن على اقتصاد العالم : حيث تستخدم هذه الشركات متعددة الجنسيات (٣٥) مليون عامل ، وبلغت أرباحها ١٩٩٥م (٣٢٣ر٤) مليار دولار . . . ، فمن يستطيع الوقوف أمام ذلك كله ؟!

إذن :

لابد من التمييز بين العولمة وبين العالمية ، وذلك من خلال التأكيد على أن العالمية تعني الانفتاح على كل الثقافات ، والاعتراف بخصوصيات كل بلد ، أما العولمة فتعني نفي الآخر واختراقه ثقافياً و . . . !!

ولابد من التأكيد على أن العولمة ـ بكل أشكالها ـ ليست إلا ستاراً وقناعاً تختفي خلفه الرأسمالية ومن يدور في فلكها ، بحيث أن العولمة تقدم للناس ظاهراً جميلاً ، وتخفي وراء ذلك مشروعاً إيديولوجياً تابعاً للرأسمالية الجديدة .

وليست الظاهرة الثقافية للعولمة أحسن حالاً من العولمة الاقتصادية ، بل إنها تهدف إلى سحق الثقافات الخاصة بالشعوب لتحل محلها ثقافة الغرب وحده ، سواء طابق ذلك قول الشريعة والناس ، أم خالفه . . .

وكانت النتيجة حروباً إقليمية ، ونزاعات أهلية ، واضطرابات سياسية ، وفوضى اقتصادية ، وتسارعاً في معدلات البطالة ، وزيادة في عدد الفقراء حتى داخل الدول القوية والغنية ، حيث تؤكد الإحصائيات ما يلي :

ـ في الاتحاد الأوروبي يوجد قرابة (٥٠) مليون فقير ! !

ـ وفي الولايات المتحدة يوجد قرابة (٦٠) مليون فقير ! !

ـ بينما يملك في الولايات المتحدة ١٪ من السكان ٣٩٪ من الثروة .

ـ وبالتالي تفوق ثروة (٣٥٨) شخصاً من أصحاب المليارات الدخل السنوي لـ ٤٥٪ من السكان الأكثر فقراً في العالم ، أي (٢,٦) مليار نسمة ! !

فهل نرفض العولمة ، فننعزل عن كل ما يجري في العالم ؟ أم هل نتضامن ـ كشعوب ضعيفة وفقيرة ـ في العالم ، لنواجه ما يأتي من قبيل العولمة ؟ !

والوضع الحالي وصل إلى ما وصفه العالم (توينبي) بقوله :

(إذا كان تشابه التاريخ المعاصر للحضارة الغربية والتاريخ القديم للحضارات الأخرى ، يشمل التفاصيل التسلسلية ، فإننا اليوم على حافة هاوية تظهر حيالها الهاوية التي برزت في المجتمعات الغربية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كالحفرة البسيطة ، وإن فكرة كهذه كفيلة بأن تجعل أكبر فرد فينا يحس بالرعب والرهبة ، ذلك أن النهايات التي وضعت حداً للفترات المضطربة عبر التاريخ القديم ، إنما كانت قضاء مبرماً على حضارات اندثرت نهائياً ، ولم تنهض) .

تُرىٰ هل علينا نحن أيضاً أن ندفع الثمن نفسه فداءً لسلامنا ؟

إن هذا سؤال لا تستطيع شفاهنا الإجابة عنه ، لأن مصير أي حضارة حية تشكل أمراً أكثر غموضاً ، بالنسبة إلى من هم جزء منها ، من مصير حضارة ميتة) .

فما هي نتيجة هذه الصراعات والنزاعات ؟ وبالتالي إلى ماذا سيؤول الحال إذا بقي الأغنياء في حالة زيادة غنىً ، بينما الفقراء يزدادون فقراً ؟!

لقد وصل الأمر إلى حد عجيب : حيث أصبح بوسع مليارات الدولارات أن تجتاز الحدود بمجرد لمسة أصبع على أحد أزرار الحاسب الألكتروني : فقد ارتفعت الصفقات اليومية في سوق العملات من (٢٩٠) مليار دولار يومياً عام ١٩٨٦ إلى أكثر من (٧٠٠) مليار دولار عام ١٩٩٠ ، وفي عام ١٩٩٤ بلغت هذه التدفقات المالية غير الحكومية (١٣٠٠) مليار دولار يومياً!!

وفي هذا الصدد يتساءل السيد ياسين فيقول : (هل يمكن لدولة ما ـ أياً كان نظامها السياسي ـ أن تحصل على تأشيرة خروج من النظام العالمي ؟

بمعنى أن تنفلت من إساره ، وأن تبني تجربتها في التنمية بعيدة عن تشابكاته متحررة من قيوده ، أم أن هذا المطلب في حدِّ ذاته ضرب من ضروب الأوهام ، التي قد تكون أوهاماً ماركسيةً أو أوهاماً إسلامية على السواء ؟

هكذا تساءل منذ فترة الباحث الإفريقي الشهير (علي مزروعي) في مقال هام نشره في مجلة « العالم الثالث » ، وكان يناقش فيه أساساً حالة إيران في بداية ثورتها .

لقد كانت إيران في ذلك الوقت في ذروة الحماس الثوري ، والذي كشف بعد حين عن التفكير السياسي المراهق الذي صاحب الثورة ،

والذي جعل أنصارها المتشددين يندفعون في طريق الخروج من النظام العالمي ، ويظنون أنهم يمكن أن يبنوا دولة إسلامية ثورية مستقلة ، مبرأة من مساوىء الرأسمالية المعاصرة ، ومتحررة من قيود دول الاستكبار العالمي ، بل إنهم ركزوا تركيزاً شديداً على ضرورة تصدير الثورة الإسلامية للعالم ، تحت القيادة الإيرانية .

وأثبتت التجارب التاريخية أن الوهم الإيراني قد بدّدته حقائق العالم المعاصر ، والتي من شأنها أن تفرض على الدول ـ أياً كان نظامها السياسي ـ أن تشتبك من خلال تفاعل إيجابي خلاّق مع النظام العالمي بدلاً من أن تنعزل ، لأن الانعزال هو بداية طريق الموت البطيء للشعوب ، أياً كانت لغة الخطاب الثورة لقادتها ، والتي تتضمن مزاعمهم عن الانتصار على النظام الرأسمالي العالمي ، ولعل الحالة المتدهورة لكوبا ، ولكوريا الشمالية ، أمثلة حية على ما نقول ، ومعنى ذلك أن رفض النظام العالمي الرأسمالي ، وبالتالي رفض العولمة ، والتي هي في الواقع مرحلة حاسمة من مراحل تطوره الطويل ، قد يأتي من منطلقات إسلامية أو مراجع ماركسية على السواء .

إن الرفض الإسلاموي للعولمة ينطلق أساساً من موقع الدفاع عن الخصوصية الثقافية المهددة من قبل موجات العولمة المتدفقة ، والرفض الماركسوي ، يأتي من منطلق الدفاع عن التنمية المستقلة في مواجهة التبعية المفروضة من قبل مراكز العولمة الاقتصادية ، والمتمثلة أساساً في الشركات متعددة الجنسية ، والمؤسسات المالية الدولية كالبنك الدولي)[1] .

---

(١) العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي : ١٦ـ١٧ ، ويلاحظ مدى الحملة القوية والحاقدة التي يشنها الكاتب على دولة إسلامية معاصرة!! .

إذن :

تيار الرفض للعولمة يتوقف عند بيان سلبياتها ـ الأرباح الجشعة وتحكم الشركات متعددة الجنسيات ونحو ذلك ـ لكن التركيز الحقيقي في ذلك يكون حول موضوع الخصوصية الثقافية المهددة .

فهل الأفضل : أن تكون الخصوصية الثقافية منغلقة ، أو أن تكون منفتحة على ثقافات الآخرين ؟!

لقد رجَّحنا في آخر الباب السابق أن الإسلام بثقافته الأصلية المنضبطة بالقرآن والسنّة ينفتح على كل الثقافات ، فيستفيد ويُفيد ، بحيث إنه يؤكد على أن الحكمة لا تحمل هوية ، وأن الثقافة لا يملكها أحدٌ ، فهي كالهواء ينطلق دون استئذان ، ويخطىء الذين يتصورون إمكانية غلق شعبٍ بأسره على ثقافة ما .

وخاصةً في زمن الانترنيت والفضائيات ونحو ذلك!!

من هنا فعلى المسلمين الواعين أن لا يضعوا صرعة العولمة ـ بكل أنواعها ـ في مقدمة المحرمات والممنوعات! وأن لا يتوقفوا عند السلبيات منها : وأن لا يجعلوا الهجوم عليها وِرْداً يومياً ! و . . . !!

إنما لابد لنا أن نتحصن بثقافاتنا الصافية ، وأن نتمترس وراء الحقائق الساطعة منها ، وأن ننطلق إلى الآخرين ونحن نرفع شعاراً قرآنياً واضحاً : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وعلينا أن نقف والآخرين على الأرضية المشتركة ، وهي توحيد الله تعالى ، ثم ليكن لكلٍّ منا خصوصياته : خصوصياته الثقافية ،

وخصوصياته الاقتصادية ، وخصوصياته السياسية ، وخصوصياته الفكرية والإعلامية و. . . .

وبالتالي : لا أحد يملك الحقيقة بشكل مطلق ، إنما قد نملك ٤٠٪ منها ويملك الآخرون ٣٠٪ ويملك غيرهم ٢٠٪ وهكذا .

فإذا التقينا وتحاورنا . . وتنازلنا عن أنانياتنا وعصبياتنا ، وانفتحنا على الآخرين ، معنى ذلك أننا نسير في الطريق القويم الذي رسمه الله تعالى في الكتاب الخالد ، وهو يخاطب الرسول ﷺ بقوله :

﴿ . . . وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] .

وفي تاريخنا السامق محطات مضيئة في هذه المجالات :

فبعد خروج الرعيل الأول من شبه الجزيرة العربية ، اختلطوا بالرومان والفرس ، وكانتا تملكان رصيداً حضارياً عظيماً ، على الرغم من الاختلافات في العقيدة ، فهناك يعبدون النار ويعظمون الملك حتى العصمة والتقديس!

وهناك يجعلون من نبي عبد بشر ، يجعلون منه رباً أو ابن الربّ!

ومع ذلك ، فقد انفتح المسلمون عليهم . . وحاوروهم . . وأقاموا الحجج عليهم ، وبينوا لهم ما يملكونه من ثقافة وعلوم .

ثم استفادوا من كل ما عندهم ، فترجموا ذلك ثم صبغوه بالإسلام ، أي استطاعوا (أسلمة علوم عصرهم) !

أجل!

إن المؤمن كالنحلة ، تنتقل من زهرةٍ إلى زهرة ، فتأخذ من هذه وتلك ، لكن في النهاية ، يخرج العسل الصافي الذي ينفع الناس ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩] .

وهكذا فعل المسلمون مع الحضارة اليونانية ، حيث شجع العلماء وولاة أمر المسلمين في العهد العباسي ، شجعوا على ترجمة العلوم ، ثم أدخلوها في مصفاة الشريعة الإسلامية ، فأخذوا منها النافع وأهملوا كل ما فيه ضرر للعباد والبلاد .

لذلك أهملوا كل ما له علاقة بالإلحاد والشرك ، وانفتحوا على كل ما ينفع الناس ، فاستفادوا ، وأفادوا .

وهكذا في هذه الأيام ، على المسلمين أن لا ينظروا إلى مساوىء العولمة فقط ، بل عليهم التعامل معها كظاهرة لها إيجابياتها ، ولها سلبياتها .

وليس الحل في الصراخ والشتم والاتهامات ، ولا بالرفض ودفن الرؤوس في الرمال ، إنما لابد من الدراسة الواعية ، والمقارنة العلمية الدقيقة ، وقراءة ذلك كله تحت مظلة سنن الله في الآفاق والأنفس .

أما أن نستسلم أمام ذلك كله ، بحجة أننا لا نملك شيئاً أمام الاقتصاد الأمريكي والإعلام العالمي و . . . !!

فهذا مخالف لسنن الله ، وإلا ماذا كانت يملك الرسول ﷺ في بدايات الدعوة ؟ هل كان لديه وسائل إعلام متطورة ؟ وهل كان يملك ترسانات من السلاح ؟ وهل كان لديه إيديولوجيات و . . . ؟!

أبداً ، إنما كان يسير ـ خطوة خطوة ـ وكان في ذلك يردد قوله تعالى :

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

* * *

الفصل الثاني

موقع الإعلام الإسلامي في العالم!!

من الناحية النظرية هناك أهداف محددة لبعض المنظمات الإسلامية ، من ذلك الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، والتي تهدف إلى :

١ـ تأليف كتب من قِبَلْ مؤلفين قديرين أو من لجان تتفق الأمانة العامة مع أعضائها لبحث الموضوعات الإسلامية ، ونشر الكتب بلغات متعددة حسب الحاجة ، وذلك بغرض عرض الإسلام بصورته المشرقة ، ودحض دعاوى خصوم الإسلام ، وخدمة الشريعة الإسلامية ، وإثراء الفكر الإسلامي ، ومعالجة قضايا المجتمع الإسلامي .

٢ـ نشر كتب التراث وأعمال المؤلفين الإسلاميين ، والكتابة في الصحف والمحلات العالمية عن كل ما يهم أمر المسلمين في مجتمعاتهم ، والدفاع عما يتعرضون له من عدوان .

٣ـ توزيع الكتب والمجلات والنشرات على أعضاء الندوة وتدارسها .

٤ـ دعوة شخصيات عالمية لزيارة البلاد الإسلامية ، ولحضور مؤتمرات الهيئات والجمعيات الإسلامية ، لإلقاء محاضرات وأبحاث تهم العالم الإسلامي والفكرة الإسلامية .

٥ـ تنظيم المؤتمرات والاجتماعات وحلقات البحث والترويج لها .

٦ـ إقامة المجتمعات للتدريب ، ولتعريف أبناء البلاد الإسلامية بعضهم ببعض .

٧ـ إخراج أفلام تليفزيونية إسلامية تعرض (الإسلام في فكره ، وفي مجتمعه ، وفي مستقبله) والترويج لها في مختلف بلاد العالم .

٨ـ العناية بالفنون والآداب ذات الطابع الإسلامي ، وبخاصة الكتب القصصية والمسرحية وتشجيع المؤلفين في مجالاتها ، وإنشاء مراكز لتوزيعها ، والدعاية لها ، وترجمتها إلى كافة اللغات المحلية في العالم .

٩ـ أن تصدر الأمانة العامة نشرة دورية تخدم فكرة الندوة ، وتعرض نشاط أعضائها على العالم الإسلامي ، وتتبع أحوال العالم الإسلامي ، وقضاياه، وترسل إلى كافة الهيئات والجمعيات والشخصيات الإسلامية.

١٠ـ تستعين الأمانة العامة بالهيئات والجمعيات الإسلامية الأعضاء بالندوة ، والشخصيات الإسلامية ، وتتعاون فيما بينها باستعمال الطرق والوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف الندوة .

١١ـ دعم المنظمات الشبابية الإسلامية ، مادياً وأدبياً على أداء مهمتها ، واستكمال ما يلزمها ، والارتفاع بمستوى برامجها وتوفير متطلباتها ، وتمكينها من عقد مؤتمراتها ، والمشاركة والتنسيق والتعاون فيما بينها على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي. . .[1] .

وهكذا بالنسبة لرابطة العالم الإسلامي ، وأيضاً المراكز الثقافية الإسلامية ، وخاصةً المنتشرة في أصقاع العالم .

كذلك طُرحت فكرة إنشاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ، وإنشاء منظمة إذاعات الدول الإسلامية وغير ذلك .

---

(١) المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، الدكتور محمد سيد محمد : ٣١٥ـ٣١٦ .

لكن هناك مشاكل تعترض منظمات الإعلام الإسلامي ، لذلك يبقى الكلام في دوائر الأحلام والأماني ، وبالتالي لا ينزل إلى أرض الواقع ، ومن أهم تلكم المشاكل[1] :

١ـ عدم التنسيق فيما بينها ، وغيبة الخطة الشاملة والخطط التفصيلية في مختلف المجالات ولمختلف الوسائل ، وفي رأيي ، أن هذا يحله إنشاء مركز عالمي للإعلام بالإسلام .

٢ـ عدم التمويل ، وهذه الظاهرة تمثل كارثة في الوعي ، فكثيراً ما توصي المؤتمرات بتسديد الحكومات لأنصبتها في مثل تلك المنظمات ، ولكن دون جدوى ، وما تقدمه الدول الغنية البترولية لا يمكن أن يقيم مشروعات دولية ، ومن جهة أخرى إذا اعتمدت منظمة إعلامية دولية على معونات دولة واحدة ، فقدت صفتها الدولية .

كذلك ينبغي عدم الاعتماد دائماً على الدول الغنية البترولية ، فهذا يقود إلى أمور بغيضة .

وينبغي أن تسدد كل دولة حصتها ، ثم تكون المساعدات الإضافية من الدول البترولية الغنية ، مثل الدفعات القوية التي تجعل الطائرة تنطلق لتحلِّق فوق الأرض . . .

كما ينبغي فتح مجالات متشعبة للتمويل تقوم على أسس اقتصادية مدروسة .

٣ـ ضرورة إحياء الأرض الموات أو زراعة الأرض البور ، ونقصد بذلك الوحدات الصالحة للعمل الإعلامي الإسلامي في المجال الدولي ، مثل : إتحادات الطلبة في الخارج ، والعمال المغتربين ، ومثل : أقسام

---

(١) المصدر نفسه : ٣٣٠ـ٣٣١ .

كليات الإعلام في الجامعات في البلدان العربية والجامعات في البلدان الإسلامية .

وهذه كلها نوافذ لمنظمات الإعلام الدولي الإسلامي ، وهي في الوقت نفسه روافد لها وشرايين تمدها بالخصب والنماء والتجدد .

٤ـ ضرورة البعد عن الأغراض السياسية للحكومات وأهوائها ، ويمثل هذا العائق أشد العوائق ضراوة في تعطيل العمل الإعلامي الإسلامي في المجال الدولي ، فمن الطبيعي أن تكون هذه المواقع فوق الخلافات السياسية والمذهبية والمعهدية والقبلية ، وأن يكون اختيار القائمين على هذا العمل وفق القاعدة الإسلامية البسيطة : الناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى .

تلك القاعدة التي سنَّها الرسول ﷺ ، والتي تمثل قاعدة أساسية وجوهرية في الإسلام .

٥ـ ضرورة إعداد كوادر بصفة مستمرة ، وهذا بطبيعة الحال من أوليات العمل الإعلامي على النطاق الدولي ، ولا شك أن العالم الإسلامي يملك من الخبرات والقدرات ما يكفي لبدء العمل إذا أحسن الاختيار ، ووضعت الشروط الموضوعية للاختيار ، ولكن لابد أن يكون إعداد الكوادر بصفة مستمرة ، استعداداً للانطلاق العظيم .

إنني أتصور مثلاً أن يقوم المركز الدولي للإعلام الإسلامي ـ إذا قُدِّر له الإنشاء ـ . . . ولعدة أعوام بإجراء مسابقات بين المائة الأوائل في الشهادة الثانوية لكل بلدان العالم الإسلامي ، ثم يتولى استكمال تعليمهم لإعدادهم في مجالات الإعلام الإسلامي ، وأن تمضي فرق منهم عشر سنوات أو عشرين سنة في تعلم لغة وفقهها ، ثم تعود لتتولى ترجمة

جديدة لمعاني القرآن بكل لغات العالم ، هذا مجرد مثل بسيط نحتاج إلى عشرات غيره .

ويرتبط بهذا إنشاء بنوك المعلومات ، ومراكز البحوث والدراسات التي يمكن أيضاً أن يتولى إنشاءها المركز الدولي للإعلام الإسلامي إذا قُدِّر له .

* * *

فما هو المطلوب اليوم من الإعلام الإسلامي ؟ ومن المسلمين أيضاً ؟

من يعمل في مجالات الإعلام الإسلامي عليه أن يقدم الحقيقة للناس ، لأن الصدق صفة المسلم حتى مع الإعداء .

كذلك عليه أن يكون مستنفراً لكامل طاقاته ، متسلحاً بكل الوسائل المعرفية لهذا العصر ، مواكباً التطورات المتسارعة في هذا المجال ، وإلا فالعالم الإسلامي يواجه على الساحة الدولية عدة أمور منها :

الإعلام الوثني كالبوذية والهندوكية ، ويواجه الإعلام الإلحادي كالإعلام الشيوعي ونحو ذلك ، ويواجه الحركات التي تهدف إلى زعزعة صورة الإسلام الصافية ، من خلال بث الفرقة بين المسلمين ، أو تكفير بعض الفئات الإسلامية ، ونحو ذلك .

وعليه الالتزام بأخلاقيات وآداب وسلوكيات الإسلام ، ليكون القدوة والنموذج الحسن للآخرين ، وهكذا على الأمة الإسلامية استغلال كل الإمكانيات لمواكبة أمور الإعلام الحديث ، ولتنهض بالمسؤولية التي شرَّفها الله تعالى بها ، ألا وهي تبليغ دعوة لا إله إلا الله .

ـ فمثلاً ـ لماذا لا يستغل المسلمون فريضة الحج التي تجمع عدداً كبيراً منهم و . . . .

لماذا لا يستغلونها في خدمة الدعوة إلى الله .

ولعل من أهم أهداف الحج إطلاع المسلمين الحجاج على ما قام به خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، حيث جعله الله إمام الهداية ، قال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

واستمر ذلك في نسله قرابة (١٠٠٠) عام ـ من إسحاق حتى عيسى عليهما السلام ـ ثم شاء الله تعالى أن ينقل مسألة هداية الناس وقيادتهم إلى نسل إسماعيل عليه السلام ، وكان رسول الله الخاتم ﷺ ، وكانت أمته : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

[آل عمران : ١١٠] .

لذلك على المسلمين أن يحولوا الحج من مناسك ظاهرية فقط، إلى مؤسسة دعوية ، يقلِّد كل واحدٍ فيهم شيخ الأنبياء إبراهيم ، ويقلِّد قدوته في كل المجالات وهو رسول الله ﷺ ، وأن يسير وراءه وهو يحج حجة الوداع . . .

وإذا تحولت مناسك الحج إلى مؤتمر عالمي للدعوة ، حيث المكان الذي احتضن بدايات الدعوة وما لاقاه الرعيل الأول .

ومن هناك فتحت المدينة المنورة ، ولم تفتح عسكرياً ، إنما فُتحت بالدعوة ، مصداق ذلك نبوءة رسول الله ﷺ : « إن الدين ليأزر إلى الحجاز كما تأزر الحية إلى حجرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل » .

لكن ـ وا أسفاه ـ تسمع جعجعةً ولا ترى طحيناً! ملايين من البشر يتكلفون المليارات ليجتمعوا هناك . . . وليؤدوا مناسك الحج ، ثم ينفضّ الموقف . . . وإذا بك تتأكد: ما أكثر الضجيج، وما أقل الحجيج!![1] .

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : روح الحج ، للمؤلف : ٦٤ـ٧٧ .

إذن :

لو قلَّد المسلمون حبيبهم المصطفى ﷺ عندما وقف على عرفات ، وألقى خطبته الجامعة المانعة ـ خطبة حجة الوداع ـ وبيَّن فيها الخطوط السياسية العريضة ، لو فعلوا ذلك فجعلوا من الوقفة على عرفات الله منبراً إعلامياً يوصلون من خلاله للعالم كله صوتهم القوي ، ويتناقشون هناك بكل همومهم ومشاكلهم ، ويتحاورون في آفاق مستقبلهم ، لكان الأمر أحسن مما نراه بكثير . . ، ولكن . . . !!

أما أن يبدِّد المسلمون ثرواتهم التي منحهم الله إياها ، فذاك أمرٌ يُخجِل ورب الكعبة ، وإلا ماذا حصدت الأمة الإسلامية في الآونة الأخيرة من حروب ما أنزل الله بها من سلطان ؟

لقد كلَّفت الحرب العراقية الإيرانية قرابة (٥٠٠) مليار دولار ، واستمرت مدة عشر سنوات عجاف !

ثم كانت حرب الخليج الثانية ـ احتلال الكويت ـ وكلّفت قرابة (٦١٢) مليار دولار !

أي إن مجموعهما يقارب (تريليون ومائة و ١٢ مليار دولار) !! وهو ما يساوي ميزانية كل الدول العربية مجتمعة نحو نصف قرن من الزمان !

فلو دُفعت تلكم الأموال الطائلة لصالح بناء نظام إعلامي دعوي إسلامي يغطي كل أرجاء المعمورة ، ويوصل تعاليم هذا الدين الحنيف إلى كل الناس ، ألم يكن ذلك أفضل بكثير ؟!

وكما نعلم ، فالإسلام دين عالمي ، لذلك فعلى جميع أفراد المجتمع المسلم أن يقوموا بمهمة الدعوة ، وما أكثر الأدلة على عالمية الإسلام ، منها خطاب الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وعندما حدثنا الله تعالى عن عالمية القرآن الكريم ، قال عز وجل : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

وعلَّق الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى على قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا : ٢٨] ، بقوله : أي إلى جميع الخلائق من المكلفين ، كقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] .

أي تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار .

قال محمد بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ يعني إلى الناس عامةً .

وقال قتادة في هذه الآية : أرسل الله تعالى محمداً ﷺ إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله تعالى أطوعهم لله عز وجل .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى فضَّل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء!

قالوا : يابن عباس! فبم فضله على الأنبياء ؟

قال : إن الله تعالى قال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم : ٤] .

وقال للنبي ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا : ٢٨] .

فأرسله إلى الجن والإنس[١] .

---

(١) تفسير القرآن الكريم : ٥/ ٥٥٣ .

وهكذا قام رسول الله ﷺ بمهمة تبليغ الدعوة العالمية خير قيام ، فهو لم ينعزل في مسجدٍ ما ، ولم يتفرغ في صومعة ما ، ولم يترك الدنيا للآخرين ، إنما انطلق يدعو إلى الله ، فجمع أقرب الناس إليه ، وبلغهم الرسالة الخاتمة ، ولاقىٰ من الأذى والشتم الشيء الكثير!

ثم انتقل إلى إعلان عام للدعوة ، فكان يستقبل الوفود في الحج ويعرض عليهم الدعوة ، وكان ينطلق إلى مقابلة زعماء الوفود ليبلغهم الرسالة ، ثم عمد إلى مسألة إرساله الكتب إلى الزعماء والملوك ، فأرسل قرابة خمسين كتاباً ، من ذلك كتابه إلى المقوقس ملك مصر والاسكندرية ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ عبد الله ورسوله ، إلى المقوقس عظيم القبط ، سلامٌ على من اتّبع الهدى .

أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يُؤتك اللهُ أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وبعث به مع حاطب بن بلتعة ، فلما دخل عليه ، قال له : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ، ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر غيرك بك .

فقال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خيرٌ منه .

فقال حاطب : ندعوك إلى دين الله ، وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه إن هذا النبي دعا الناس ، فكان أشدَّهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل

التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبيٍّ أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحق عليهم أن يطعيوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به .

فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه ، ولا ينهى عن مرغوبٍ فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر ، وأخذ كتاب النبي ﷺ ، فجعله في حُقٍّ من عاجٍ ، وختم عليه[1] .

وهكذا إذا نظرنا في كل جوانب الإسلام ، سواءً السياسية أو الاقتصادية أو العلاقات الدولية ، أو العلاقات مع غير المسلمين ، أو في الجانب الأدبي ، أوالتربوي أو. . ، نقول : لو نظرنا جيداً. . . لوجدناه مناسباً لكل الأزمنة وكل الأمكنة ، فهو عالمي في كل تفصيلاته. . . ، لكن هل يحدث ذلك في واقعنا الإسلامي المُعاش ؟ !

أبداً ، فعلى الرغم من أن الشعب العراقي يعاني مأساة الجوع والحصار وقلّة الدواء ، وانخفاض متوسط الدخل ، إلى درجة أن بلغ ما يقارب (٢,٥) دولارين ونصف في الشهر ! !

على الرغم من ذلك خرجوا ـ هناك ـ على الناس بمشروع ضخم جداً ، إنه بناء مسجد صدام ، ومن معالم المشروع : قبة قطرها (١٣٥) متراً ، وارتفاعها (١٣٠) متراً ، وفيه (٨) مآذن ، منها أربعة يصل ارتفاع كل منها إلى (٢٥٠) متراً ، وفيه بحيرة صناعية تحمل بصمة إبهام

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : زاد المعاد لابن قيم الجوزية : ٣/ ٦٩١ ، سيرة سيد الأنام ، للمؤلف : ٤/ ١١٧ .

عملاقة وعليها توقيع صدام حسين وهي على شكل جزيرة مستطيلة طولها (٧٥) متراً!!

هل هذا من الإسلام ؟ ! وهل هذا يخدم الدعوة والإعلام الإسلامي ؟

أبداً ، فالحصار العالمي على العراقيين جريمة ، وبناء مسجد صدام ـ في هذه الأوضاع ـ لا تقل إجراماً عن الحصار!!

والمسألة ليست إلا كبناء مسجد ضرار ، والذي بناه المنافقون ليكون مركزاً لمحاربة دعوة الإسلام ، فما كان من النبي إلا أن أمر بهدمه ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة : ١٠٧] .

بناء المسجد عمل رائع وجهادي ، ولكن ليس الوقت الذي يعاني منه الشعب الأمرَّين ، وذلك لأن كل الأرض تعتبر مسجداً للمسلم ، والمسجد الذي بناه الرسول ﷺ ، والذي خرَّج الأبطال والعلماء والقادة و . . . كان بناؤه من اللبن وسقفه من جريد النخل ، وعمده بعض جزوع النخل ، وطوله سبعون ذراعاً[1]!!

وبالتالي فالمسلم في ميزان الشريعة له حرمة أكبر من حرمة الكعبة ، بل يقرر القرآن أن حرمة القتال في الشهر الحرام تسقط إذا أُهين المسلمون أو فُتنوا في دينهم ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

فحرمة وكرامة المؤمن أكبر من كرامة البيت الحرام وأكبر من قدسية الشهر الحرام .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : دنيا رسول الله ﷺ (العهد المدني) ، للمؤلف : ١٢٥ـ١٤٤ .

فهل نقدِّم البنيان على الإنسان ؟

وهل نحتفي بالحجر بينما يُداس ويُزدرى البشر ؟ !

رحم الله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز عندما آل إليه أمر الأمة الإسلامية ، فسدَّ مَداخل الحرام إلى بيت المال ، حتى إنه وضع جدول أولويات الإنفاق حسب موازين الشريعة ، لذلك عندما أرسلوا إليه يطلبون منه كسوةً للكعبة ـ كما كانت العادة ـ كان جوابه :

إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة ، فإنهم أولى بذلك من البيت الحرام!!

وعمد إلى المسجد الأموي بدمشق فنزع السلاسل المصنوعة من الذهب والتي تحمل القناديل ، وردَّها إلى بيت المال ، ووضع عوضاً عنها سلاسل من حديد!!

أجل!

عندما يُضبط الإنفاق ، وتُصان الأموال العامة ، ويكتفي المسلمون وينضبطون بما جاء به القرآن والسنة ، ويتركون المهاترات والمنازعات ، ويتوجهون إلى سبيل الدعوة ، عند ذلك سينقلب حالهم إلى الحال الذي كان عليه الرعيل الأول من هذه الأمة : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم : ٤ـ٥] .

* * *

الخاتمة..

أحسن الله ختامنا أجمعين . .

. . . والمتأمِّل لما يجري حولنا في العالم يجد العجب العجاب :

لقد أدبر غالبية الناس تعاليم الإسلام ، ولهثوا وراء سرابات وخداعات ، وشرَّقوا تارةً وغرَّبوا أخرى . . فماذا كانت النتيجة ؟

لقد قُتل في الحرب العالمية الأولى قرابة (١٠) ملايين إنسان!

وقُتل في الحرب العالمية الثانية قرابة (٧٠) سبعون مليون إنسان!

وقُتل في الحروب الإقليمية منذ الحرب العالمية الثانية (٢١) مليون إنسان!

وأُلقيت القنابل العنقودية والهيدروجينية والمسمارية والكيماوية والذرية و. . . ، على الآمنين المسالمين .

وعندما ألقى الكابتن (روبرت لويس) القنبلة الذرية على (هيروشيما) في عام ١٩٤٥م ، ورأى ما حدث ، صاح : يا إلهي ما هذا الذي فعلناه ؟ !

لكن اليوم يوجد في العالم قرابة (٥٠٠٠٠) قنبلة ذرية!

وبمقدور غواصة نووية واحدة حمولتها (١٦٠) رأس نووي (بمعدل ١٠ رؤوس لكل صاروخ) بمقدورها إصابة (١٦٠) هدف مختلف ، وهذا كافٍ لإزالة كل مدن الاتحاد السوفييتي من الوجود!!

وأمريكا وحدها تملك (١٠٠) غواصة من هذا الحجم .

وبالتالي فالعالم ينفق (١,٣) مليون دولار كل دقيقة على الأغراض العسكرية ، في حين يموت (٤٠) طفل كل دقيقة بسبب قلة الغذاء والدواء . . . !

وتكلفة إنتاج غواصة نووية تعادل ميزانية التعليم السنوي لحوالي (٢٣) دولة نامية ، يوجد فيها أكثر من (١٦٠) مليون طفل في سن التعليم ! !

ثم ماذا ؟

نعود إلى التساؤل : ما هو الحل لهذه المشاكل العالمية التي تتسارع خطاها إلى حدٍّ عجيب ؟ !

هل يكمن الحل في شجب النظام العالمي الجديد ، والمتمثل بالعولمة ونحو ذلك ؟

أبداً ، فالحل يكمن في العودة إلى ما جرَّبه الأجداد ، أي العودة إلى الدين الحنيف ، لتتوحَّد الجهود كلها ، فيتّحد المسلمون والعرب على منهج القرآن والسنة ، ولتُحشد الطاقات : العسكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وبعد ذلك علينا أن نسلّم الأمر كله لله ، حيث أنه لا يتحرك ساكن ولا يسكّن متحرك إلا بيد الله وحده ، مصداق قوله تعالى : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وأن نعود إلى النبع الصافي الذي نهل منه الأجداد ، مبتعدين عن الغلو والتطرف والتنطع والتقعّر والتعسير ، لأن الدين الإسلامي هو دين اليسر والوسطية والاعتدال .

وأن نقتبس من الآخرين كل الوسائل التي تؤدي إلى ما ينفع الناس ، لأن الحكمة والعلم والثقافة لا تحمل هوية معينة ، إنما تنفتح على الجميع .

وأن يشعر كل واحدٍ منا بالمسؤولية الملقاة على كاهله ـ وكل حسب طاقاته وإمكانياته ـ ، وذلك بأن يكون داعيةً إلى الله ، وإعلامياً يبلّغ منهج الله ورسوله ، عسى أن يتحقق فينا وبنا الخيرية للعالمين ، وما ذلك على الله بعزيز .

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : ٥ـ٦] .

وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المصادر والمراجع

- الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ ، محمد إبراهيم ، ط١ ١٩٨٦ المكتب الإسلامي ، بيروت .
- أضواء على الإعلام في صدر الإسلام ، الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ط١ ١٩٨٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الإعلام العربي وتحديات العولمة ، تركي صقر، ط ١ ١٩٩٨م، وزارة الثقافة السورية.
- المسؤولية الإعلامية في الإسلام ،الدكتور محمد سيد محمد ، ط١ ١٩٨٣ ، دار الرفاعي ، الرياض .
- أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، الدكتور منذر عنتباوي ، ط١ ١٩٦٨ ، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية .
- الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، الدكتورة جيهان رتشي ، ط١ دار الفكر العربي ، بيروت (د . ت) .
- أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته ، إبراهيم سرسيق ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، (د . ت) .
- الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع ، الدكتور أحمد بدر ، ط١ ١٩٩٨ دار قباء ، القاهرة .
- ظاهرة العولمة الاقتصادية ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١ ٢٠٠٠ دار المكتبي ، دمشق .
- الإعلام والدعاية في حرب الخليج ، الدكتور كرم شبلي ، ط١ ١٩٩٢ مكتبة التراث الإسلامي ، مصر .

- الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي ، عبد القادر طاش ، ط١ ١٩٩٥ ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
- فخّ العولمة ، هانس بيتر مارتين ، ترجمة عدنان علي ، ط١ ١٩٩٨ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .
- الكذبات العشر للعولمة ، جيرالد بوكسبرغر ، ترجمة عدنان سليم ، ط١ ١٩٩٩ ، سلسلة الرضا للمعلومات ، دمشق .
- أسس دعوة خاتم النبيين ﷺ ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١ ١٩٩٩ دار الحافظ ، دمشق .
- الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، ط١ ١٩٩٣ دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الاستخبارات العسكرية في الإسلام ، عبد الله مناصرة ، ط٢ ١٩٩١ مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الأنوار في شمائل النبي المختار ، للإمام البغوي ، تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، ط١ ١٩٩٥ ، دار المكتبي ، دمشق .
- البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير الدمشقي ، ط دار الكتب العلمية (د . ت) .
- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، الدكتور يوسف القرضاوي ، ط١ ١٩٩٤ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- العولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية ؟! الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١ ١٩٩٩ دار المكتبي ، دمشق .
- الإمبراطورية الأمريكية ، كلود جوليان ، ترجمة ناجي أبو خليل ، ط١ ١٩٧٠ ، دار الحقيقة . بيروت .
- الشرق الأوسط على حافة الهاوية ، وليام ب . كوانت ، ترجمة وتعليق السيد ياسين ، ط١ ١٩٩٦ المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، دمشق .
- إضافة إلى بعض الجرائد والمجلات والدوريات . . .

المحتوى

تمهيد ٧

الباب الأول
ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي

الفصل الأول: مفهوم الإعلام، نظرياته، خصائصه، وظائفه ١٣
١ـ مفهوم الإعلام ١٣
٢ـ خصائص الإعلام ١٦
٣ـ وظائف الإعلام ٢٤
٤ـ نظريات الإعلام ٢٧
أ ـ نظرية السلطة
ب ـ نظرية الحرية
جـ ـ نظرية المسؤولية الاجتماعية
د ـ النظرية الاشتراكية ـ السوفييتية
الفصل الثاني: بعض الجوانب الإعلامية في عهد الرعيل الأول ٣١
١ـ مشروعية الإعلام في الإسلام ٣١
٢ـ نماذج من تحركات الرسول ﷺ الإعلامية ٤١
أ ـ العهد المكي ٤٦
ب ـ العهد المدني ٥١

الباب الثاني

من قضايا الإعلام المعاصر

الفصل الأول: وسائل الإعلام المعاصر ٥٩

أ ـ وسائل الإعلام المقروءة ٦٠

ب ـ وسائل الإعلام المسموعة ٦١

جـ ـ وسائل الإعلام البصرية ٦٥

د ـ وسائل الإعلام السمعية البصرية ٦٥

الفصل الثاني: عملية الاتصال الجماهيري ٦٧

الفصل الثالث: تأثير وسائل الإعلام ودورها ٧٦

١ ـ دور وسائل الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام!! ٨١

٢ ـ دور وسائل الإعلام الإسلامي في نشر الدعوة إلى الله تعالى ٨٨

٣ ـ دور وسائل الإعلام في التغيير الإجتماعي... والتنمية ٩١

الفصل الرابع: حُسن استخدام الأعداء لوسائل الإعلام!! ٩٦

الباب الثالث

عولمة الثقافة والإعلام: إلى أين؟!

الفصل الأول: عولمة ثقافية، أم اختراق ثقافي؟! ١٠٧

الفصل الثاني: لمحات عن عولمة الإعلام والثقافة ١١٩

١ ـ مفهوم عولمة الإعلام ١١٩

٢ ـ أهم الإشكالات التي تثيرها عملية عولمة الإعلام ١٢٢

٣ ـ العلاقة بين مقولة الشرق أوسطية وبين العولمة ١٢٤

٤ ـ أهم المعوقات أمام التمسك بثقافاتنا ١٣٣

الباب الرابع
واقع الإعلام الإسلامي المعاصر!!

الفصل الأول: هل العولمة قَدَرٌ حتميٌّ؟! ١٤٥

الفصل الثاني: موقع الإعلام الإسلامي في العالم!! ١٥٣

١ـ أهم المشاكل التي تعترض الإعلام الإسلامي ١٥٥

٢ـ ما هو المطلوب ـ اليوم ـ من الإعلام الإسلامي؟ ١٥٧

الخاتمة ١٦٥

المصادر والمراجع ١٦٩

المحتوى ١٧٢

* * *